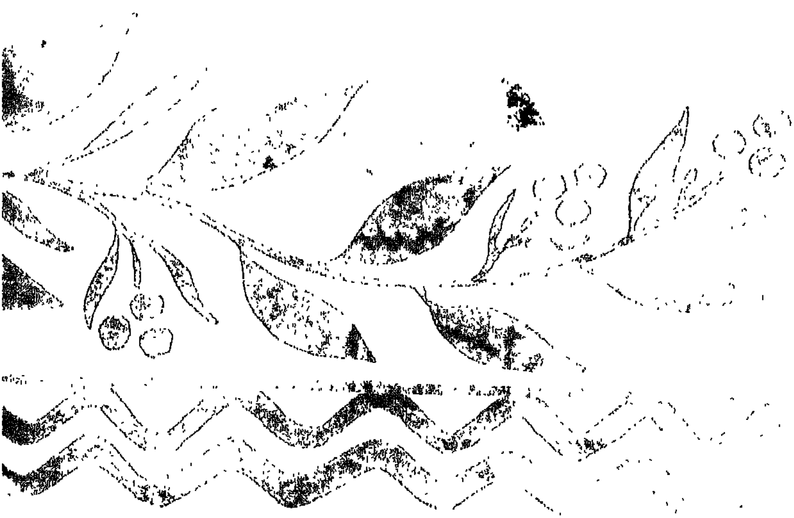
اقرأ

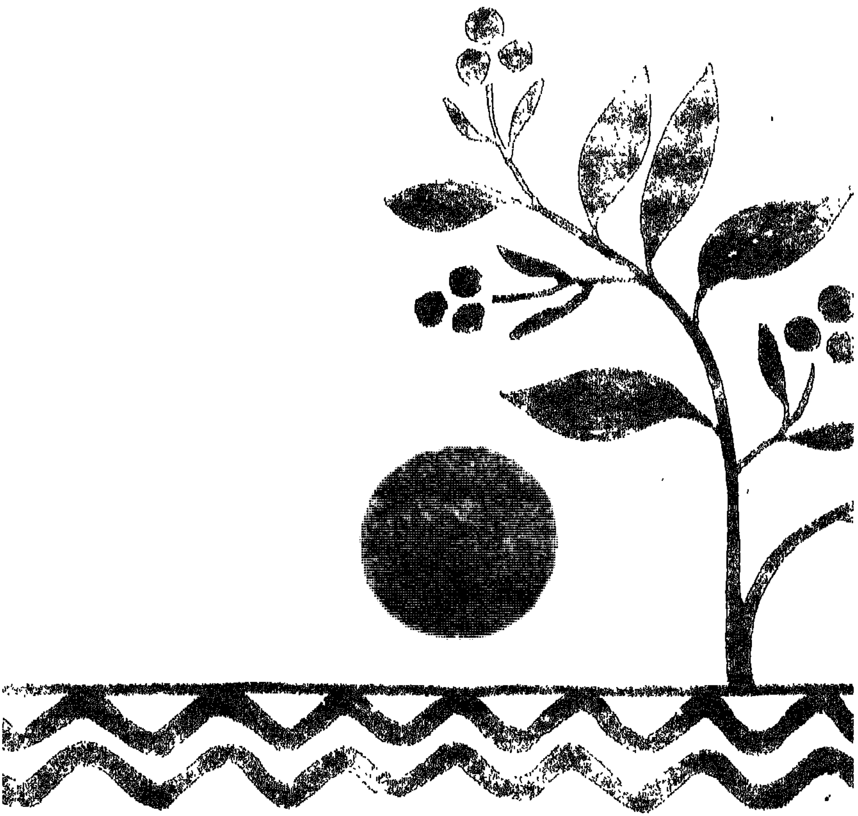
سلسلة ثقافية شهرية

خمسون عاماً من الثقافة

١٩٤٣ - ١٩٩٣

تصميم الغلاف للفنان
جوده خليفه
خطوط الغلاف للفنان
حامد العويضى





الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

أما قبل

فها نحن اليوم نوقع بالحب والوفاء أوراق خمسين عامًا من الثقافة المتنوعة الرفيعة في سلسلة « اقرأ » .. كما وقعنا منذ عامين أوراق قرن من الزمان على إنشاء منارة العلم والمعرفة في الشرق الأوسط – دار المعارف .

لقد كانت دار المعارف – ولاتزال – تهدف إلى نشر الثقافة والمعرفة للكبار والصغار على السواء .. وللمستويات العقلية المختلفة .. فخصصت سلاسل للدارسين المتخصصين .. وسلاسل أخرى للمثقفين القارئين . وسلاسل للقارئ العادي الذي يود توسيع مداركه .. وآفاق معرفته .. فقدمنا له هذه السلسلة في مادتها المتنوعة المفيدة .. وإخراجها الجيد .. وثمنها المعقول ..

وعلى مدى خمسين عامًا شارك في تحرير « اقرأ » أساتذة الأجيال .. فلم يضنوا عليها بعلمهم وفكرهم ، بل آمنوا برسالتها ، وقطّروا فيها عصارة عقولهم .. حتى أصبحت مكتبة من المعارف العامة ، لا يستغنى عنها أي قارئ ..

ولأن القراءة هي الواسطة الأولى للمعرفة والثقافة ، فإن آراء العلماء والمفكرين وتجاربهم في القراءة لم تأت من فراغ ، وإنما جاءت عن معايشة حميمة مخلصة تستحق أن يتعرف عليها الأجيال

الجديدة القارئة ، لأنها هى نفسها التجربة ، وهى نفسها الدروب المستقيمة الحقة .

ولهذا نستخلص هنا لقارئنا العزيز نشر هذه الكلمات والتجارب والآراء لتكون زادًا لا ينفد ، وشهادة لا تموت .

ولا نملك إلا أن نهنئ القارئ على قُربه الصادق من قلوبنا .. مؤكدين له جهدنا المخلص ووعدنا الصادق بالمزيد من العطاء لكبار مؤلفى دار المعارف ..

دار المعارف

مقدمة السلسلة في ١٩٤٣

عنوان هذه السلسلة خير ما يوجه إلى الأفراد والجماعات ، في جميع الأمم والشعوب ، وفي الشعوب العربية بوجه خاص ، بل هو خير ما وجه إلى الإنسان منذ تحضر إلى الآن .

وبهذا الفعل القصير الخطير بدئ تنزيل القرآن ، فكان أول ما خوطب به النبي ﷺ وخوطب به الناس من بعده ، هو هذا الأمر الكريم بالقراءة . ونحسب أن هذا هو الذى دعا صديقنا أحمد أمين إلى اختيار هذا العنوان لهذه السلسلة فآثرناه كلنا مهتمين به ، مجمعين عليه .

وكان صاحب المنطق – كما يسميه الجاحظ – يقول إن الإنسان حيوان ناطق ، وكان المنطق عنده فيما تحدثنا الفلاسفة أشمل من إدارة اللسان في الفم باللفظ الذى يبلغ السمع ، فينقل إليك ما في نفس محدثك ، كان النطق عند أرسطاطاليس على التفكير والتعبير جميعًا ، لكن أرسطاطاليس لم يعرف الإنسان بأنه حيوان ناطق فحسب وإنما وصفه بأنه مدنى بالطبع ، كما ترجم القدماء ، أو أنه اجتماعى بالطبع ، كما يترجم المحدثون .

وما نعرف شيئًا يحقق للإنسان تفكيره وتعبيره ومدنيته ، كالقراءة فهى تصور التفكير على أنه أصل لكل ما يقرأ ، على أنه غاية لكل ما يقرأ .

فالكاتب يفكر قبل أن يكتب ، وأثناء كتابته ، والقارئ يفكر فيما يقرأ وأثناء قراءته ، وبعد أن يقرأ .

وكذلك يمضي الإنسان في تحقيق هاتين الخصلتين اللتين تميزانه وتضعانه حيث أراد الله له أن يكون من التفوق والرقي ، وهما العقل والمدنية ، فإذا أمر الله الإنسان بأن يقرأ ، فإنما يأمره بأن يطمح إلى الكمال ، ويسعى إليه . وإذا كانت القراءة أخص مميزات الحضارة . تكثر وتنتشر إذا اتسعت الحضارة وارتقت وتقل وتتضاءل إذا ضاقت الحضارة وانحطت ، فقد يكون من أيسر التعبير وأوجزه في يوم من الأيام أن تختصر الطريق ، وأن يعرف الإنسان بأنه حيوان قارئ دون أن يكون في هذا التعريف تجاوز لما قصد إليه أرسطاطاليس .

وكانت القراءة في أول أمر الإنسان مقصورة على قلة ضئيلة من الناس في كل شعب من الشعوب المتحضرة ، وكان رقي الحضارة واتساعها يدعوان إلى شيوع القراءة وانتشارها ، حتى كان هذا العصر الحديث ، وحتى كانت الديمقراطية التي أخذت تلغي الفروق والامتيازات وتقرب ما بين الطبقات .

وإذا القراءة تصبح حقا شائعًا لكل إنسان بل واجبًا محتومًا على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة . وإذا الدول تشعر بهذا الحق وتفرض على نفسها أو تفرض عليها الشعوب تعليم القراءة لكل فرد من الناس دون أن تتقاضى على ذلك منه أجرًا . ونحن نعلم أن الدول إنما تعلم أبناء الشعب هذه القراءة الآلية وقليلا جدا مما يهيئهم للقراءة التي ترقي العقل

وتنقى الطبع ، وتصفى الذوق ، ولكن القراءة على كل حال هى الطريق الطبيعية الميسرة لرقى العقل ، والطبع ، والخلق ، والذوق ، وحينما انتشرت القراءة طلب الناس ما يقرءون وتنافس الممتازون منهم فى أن يقدموا إليهم ما يقرءون ، ونشأ عن هذا كله ما نعرفه من قوة الحياة العقلية وخصبها ، وما ينشأ عنها من نتائج لا تحصى فى حياة الناس ، وقد أخذت الدولة فى الشرق تعلم الناس القراءة ، وأخذ الناس يطلبون ما يقرءون وأخذ الكتاب يتنافسون فى أن يقدموا إليهم ما يقرءون .

ولكن الإنسان كسل بطبعه أيضًا ، فهو مشوق بطبعه إلى الرقى ، ولكنه مدفوع بطبعه إلى حب اليسر ، وإيثار السهولة وتجنب الجهد الشاق ما وجد إلى ذلك سبيلا . وهو محب للقراءة ما فى ذلك شك ، ولكنه يريد أن تيسر له القراءة ، ووجوه التيسير كثيرة مختلفة ، أخطرها وأعظمها ضررًا هو الذى يشيع وينتشر ، مع الأسف الشديد ، فالكلام السهل المبتذل القريب الذى ينتشر فى الصحف السيارة التى يكفى الإنسان أن يمد يده ليتناولها وفى الكتب الرخيصة التى يحصلها القارئ دون أن يشق على ماله ويقرؤها دون أن يشق على عقله .

هذا الكلام هو الذى يتهافت عليه القارئ بحكم هذه الخصلة الطبيعية فى تكوينه ، وهى خصلة الكسل ، وإيثار الهين من الأمور ، فلابد إذن من أن تقاوم هذه الخصلة ما استطاع المثقفون مقاومتها ، لابد من أن تقرب القراءة الممتعة الخصبة إلى الناس حتى يستطيعوا أن يقرءوا فى غير مشقة على عقولهم ولا على أموالهم .

وليس كل ما ينتهجه العقل الإنسانى ميسر القراءة للناس ، فهناك الممتازون فى الثقافة ولكن هناك أصحاب الثقافة المتوسطة وأصحاب الثقافة المتواضعة . وليس من اليسير أن يسيغ أولئك وهؤلاء ما يكتبه الممتازون من الفلاسفة والعلماء والأدباء . وليس من الحق ولا من العدل أن يحرم أولئك وهؤلاء خير ما يثمره العقل الإنسانى من الإنتاج . فلابد إذن من أن يأخذوا منه بحظ ما ، لابد من أن يرتفعوا إليه شيئًا ومن أن يهبط شيئًا ، حتى يكون هذا اللقاء الخصب الذى يعم به نفع العلم والفلسفة والأدب .

وكل هذه الملاحظات دعت إلى التفكير فى إنشاء هذه السلسلة من الكتب القصيرة اليسيرة الرخيصة يسهل شراؤها وتهون قراءتها ويقرب الانتفاع بها والاستمتاع بما فيها ولا يشق ثمنها على أوساط الناس ولا على فقرائهم .

فهذه السلسلة جهد من الجهود تبذل فى سبيل نشر الثقافة وترقية الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات وهى نتيجة طبيعية لهذا الطور الذى نحن فيه من أطوار حياتنا . وفى الأرض أمم سبقتنا فى هذا العصر الحديث إلى الرقى وقطعت فيه أشواطًا لم نقطعها بعد وهى مع ذلك بل من أجل أن تنشئ أمثال هذه السلسلة وتبذل فى إنشائها وإذاعتها وتيسيرها جهودًا عظيمة موفقة . فكيف بنا وحاجتنا إلى هذا التيسير أشد من حاجتها ، وضرورات الحياة الحديثة من المساواة بيننا وبين الشعوب المتفوقة .

والنية فى هذه السلسلة أن تكون على يسرها وقربها متنوعة أشد التنوع وأنفعه . فهى تنشر المؤلفات الحديثة كما تنشر الآثار القديمة ، وهى تنشر الآثار التى تؤلف كما تنشر الآثار التى تترجم ، وهى تنشر من هذا كله فى فرع ممكن من فروع الإنتاج العقلى : فى الأدب الإنشائى وفى الأدب الوصفى ، فى العلم الخالص وفى العلم التطبيقى ، فى السياسة ، فى التاريخ ، فى العمران والاجتماع ، فى كل لون من ألوان هذا النشاط الذى يجعل العقل الإنسانى منتجًا فى جميع فنون المعرفة ، ذلك لأن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها لم يفكروا إلا فى شىء واحد هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية وأن تدعوهم هذه إلى الاستزادة من الثقافة والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

وكل ما نرجوه هو أن نوفق إلى تحقيق بعض هذه العناية .

يناير ١٩٤٣

للذكرى والتاريخ
وقائع الاحتفال بمرور عامين
على صدور اقرأ

نوهت جريدة الأهرام فى عددها الصادر صباح يوم الجمعة الموافق ١٦ من فبراير سنة ١٩٤٥ بحفلة اقرأ وقالت :

احتفلت دار « المعارف » أمس بمرور عامين على إصدارها سلسلة « اقرأ » وحضر الاحتفال لفيف من رجال العلم والأدب والصحافة فى مصر والشرق العربى ، يتقدمهم سعادة يوسف ذو الفقار باشا .

وبعد أن تناول المدعوون الشاى ألقى الأستاذ شفيق نجيب مترى صاحب « دار المعارف » كلمة رحب فيها بالحاضرين ونوه برسالة « اقرأ » بين مصر والأقطار العربية وختمها بالدعاء لجلالة الملك .

ثم أنشد الأستاذ على الجارم بك قصيدة من عيون الشعر ، وأعقبه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فألقى كلمة باسم أعضاء لجنة « اقرأ » .

وعلى أثر ذلك تليت نتيجة الاستفتاء فيما صدر من كتب « اقرأ » خلال سنة ١٩٤٤ ، فكان الكتاب الفائز وهو كتاب « سيدة القصور » للأستاذ على الجارم بك والكتاب الثانى « جحا فى جانبولاد » للأستاذ محمد فريد أبو حديد .

ثم أمضى الحاضرون ، وقتًا غير قصير تبادلوا فيه مختلف الأحاديث عن الأدب والنشر وفن الطباعة والوحدة العربية . وانصرفوا بعد ذلك شاكرين لصاحب الدار كريم دعوته ، داعين له باطراد النجاح .

ونوهت كذلك جريدة المقطم الغراء بحفلة اقرأ ونشرت القصيدة التى أنشدها الشاعر الكبير الأستاذ على الجارم بك وها نحن أولاء نثبتها فيما يلى كما نثبت بعدها خطاب صاحب الدار وذلك نزولا عند رغبة فريق كبير من أصدقاء الدار الذين فرضوا علينا أمر نشرهما للذكرى والتاريخ .

قصـــيدة الجارم بك

لست من شأنه ولا بعض شـــأنه … كبح الشيبُ والنهى مـن عنانـه

فاذهبى ، ماســلا الفؤادُ ولكن … ســاقهُ يأسُـــــه إلى ســلوانـه

وبدارِ الفردوسِ من جانبوا الاثـ … ـمَ لعجـــزِ النفـــوسِ عن إتيانه

قد تولى الشبابُ ريحـــانةُ الحـ … ـبِ فمن لى بالحب أو ريحـانـه

آهِ من حيرة المشيب : ســـواءٌ … هـــو فى بوحـه وفى كتمانـه

إن كتمناه قهقه الدهـــر جذلا … نَ ومد الخبيث طرفَ لسـانه

أو أبحناه راعنـــا كـــل يوم … شرفـــاتٌ يهوين من بنيانـه

ورأينا الغيد الأمـــاليد حلمـــا … ضـــن بالملتقى على وسنانـه

كـل شـىء لـــه أوان يوفيـــ … ـــه وفــوتُ الشباب قبل أوانه

كم نعمنا به زمـــانا فلمـــا … طاح عشنا فى ذكريات زمانه !

طـــائرٌ كان إن تغنى إلى الرو … ض شجا الحاليات من أغصانه

عسجدىُ الجناح ودّ العـذارى … لو خضبن البنـــانَ من ألوانه !

وتمنى الأصيلُ لو نـــال يومـا … لمحـةَ الحســـن من سنا لمعانه

أين تصفيقـــه ؟ وأين مجاليـــ … ـــهِ ؟ وأين الرخيم من ألحانه

جــال فى الأفـق جولـــة ثم ولّى … هـــل يعود الشـادى إلى جولاته

ومضى خـافقَ الجناح ولـم يتـ … ـرك لقلبى منه ســوى خفقانه

وحـواه المـاضى الخضمّ وأبقى ذكرياتٍ تطفـــو على شطئانـه
مـــرة نستريح شـــوقًا لذكــرا ه وحينًا نجـــدّ فى نسيانه
أنا عـزمى من آل صخرٍ ورأسى لقـــى الـويل من بنى شيبانـــه
ولنفسى منى الشــباب وإن أد رج وجهى الشباب فى أغضانِه

* * *

مـا أحيلى الصبا !! فهل لمحةٌ منـ ـه ومن زهـوه ومن ريعانه ! ؟
بان بالأمــس ركبـــه فتطلعــ ـتُ أعـد الطيوف من أظعانـه
وبدا فى طليعــة الركـب طيف لــج منـه الفـــؤاد فى تحنانِه
هاج ذكرى «دار المعارف» والغصـ ـن رطيبٌ والعمــر فى عنفوانِه
جمعتنــا روضًا جنى وظـــلالا تتــدانى القطـــوف من أفنانِه
فشـدونا عنادلا هـزت الدهــــ ـــر وكادت تلهيه عن حدثانه
وصحا الشرق ناشطًا يجبه الدنـ ـيا وينفى النعـــاس عن أجفانه
وكتبنـا فى روعـــة وبيــــان يقســـم السحر : إنه من بيانه
من إمـام وشـــاعر وأديـب معجزات الفنون طـــوع بنانه
جمعتنا دار المعـــارف أحــرا رًا فكنـــا للعـــلم من عبدانه
إن عنوانهـــا جهـــابذ مصر وجــــلال الكتاب فى عنوانـه
مصنـع من ثقافــة وضيـــاء كل قطـــر يعشـــو إلى نيرانه
ينضــج الخبز للعقـول نقيـا لـــم يروع بالبخس فى ميزانه
كلمـا دار دورة نهض العقـــ ـــل وألقى العتيق من أكفانه

طبعات فيهـا من الحسن طبع   قيمة المرء فى مدى إحسانه
وإذا راعك الجمال لفن   عبقرى فاسأله عن فنانه
نجمع الدرّ توأمًا وفريدًا   ثم نأتى به إلى دهقانه
قل كما شئت فى مديح «شفيق»   والكرام الثقات من أعوانه
باعث الفكر مثله ناشر الفكـ   ـر له فضله ورفعة شانه
أى نفع للمسك فى حقة المسـ   ـك وللمال فى يدى خزانه
ينشط الفكر بالذيوع ويزكو   وزكاء الينبوع فى جريانه

* * *

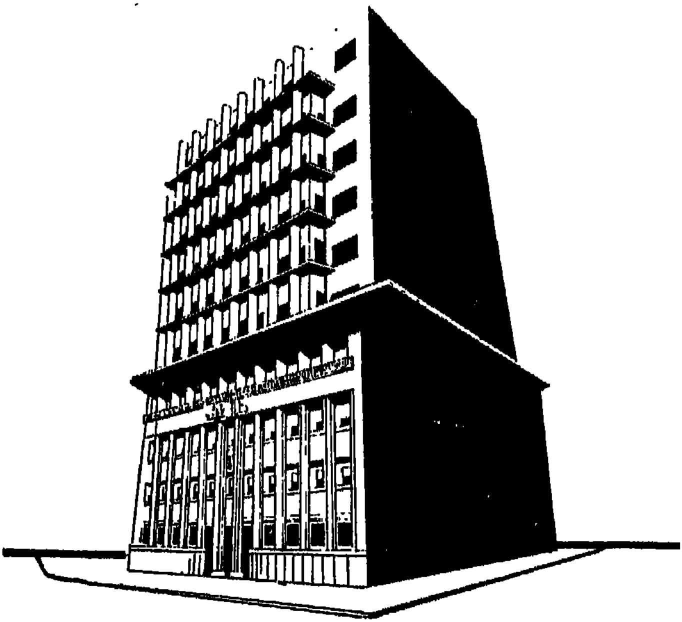
يا ابن «مترى» بلغت مدحى وهذا   منزل النجم أو قريب مكانه
صنتُ شعرى عن أن يهوى وبعض الـ   ـشعر يسعى لعزه بهوانه
يصغر الفن حينما تصغر النفـ   ـس وينحط من رفيع قنانه
إن شعرى أجر النبوغ فما بعض (م) لغير المجيد فى ميدانه

* * *

أشفيق سر بالشباب حثيثا   أمل الشرق فى يدى شبانه
قد قرأنا فى «اقرأ» صحائف أبدت   صفحات الربيع فى إبانه
نهضت بالشريف من لغة الضا   د وجاءت بالسحر من تبيانه
فهناء «دار المعارف» لا زلـ   ـت منار الحجا ومجلى افتنانه
لقى الشرق فى ذراك مىلادا   منذ بعثت الحياة فى أوطانه
عاش فاروقنا العظيم وعاشت   مصر فى ظل عزه وأمانه

دار المعارف

من ١٨٩٠م إلى ١٩٩٣م



خطاب صاحب الدار
الأستاذ شفيق نجيب متري

سادتي

أحييكم أجملَ تحية وأشكرُ لكم تفضلكم بتلبية دعوتنا حتى اجتمع في دارنا الصغيرة هذا الحفلُ الكريم من رجال العلم والأدب بمصرَ والشرقِ العربيّ . وإني لأرى في تشريفكم دارنا هذا المساء ، عُربونًا صادقًا على ما لدار المعارف في نفوسكم من منزلة ومودة تجعلاننا نعتقدُ أننا كنا عند حسن الظّن في معاونة قادة الفكر على أداء رسالتهم السامية .

إن إيمان الناشر برسالة المؤلف هي التي تحدُوه إلى بذل أقصى الجهد في نشرها والدعوة لها وإيماننا برسالة أصدقاء هذه الدار وهم نخبةُ النُّخب من علماء الشرقِ العربيّ وأدبائه هو الذي يُحَفّزنا إلى الابتكار والتجويد ويلهمنا أمثلِ الطرق لبث تلك الرسالة . ومن هذه الطرق كانت سلسلة اقرأ وقد توخينا أن تكون في متناول كل راغب في استكمال ثقافته والاستزادةِ من العلم في عصرٍ يتغنى الناسُ فيه

بالديمقراطية والحدَب على الطبقة الحرّيّة . ولعل أسمى واجبٍ على القادرين هو التوفيرُ لهذه الطبقة ما تحتاج إليه من الغِذاءِ الروحيّ عنايتَهم بتوفير حاجتها من الغِذاء المادىّ .

وللسلسلةِ إلى جانبِ هذا الهدف هدف آخر هو صورةٌ مصغَّرة للمساعى الحميدة التى تبذلُ فى هذه الأيام لتوثيق عرى الأمم العربية . ومما لا ريب فيه أن الوحدةَ الثقافية وتبادلَ ثمرات القرائح فى مختلف البلاد العربية هما دِعامة من أقوى دِعامات الوحدة . ففى تقارب الأفهام تقاربُ القلوب والأرواح ومن ثَمَّ تقاربُ المصالح والغايات . فهل أدت سلسلةُ اقرأ بعضَ رسالتها فى هذا السبيل ؟ وهل كانت سفيرَ مصر إلى البلاد العربية وسفيرَ هذه البلاد إلى وادى النيل ؟ إن النجاحَ الذى صادفته ، وكان فى مقدورها أن تتجاوزَه إلى أبعدِ الحدود لولا عقباتُ هذه الحرب يدل على أنها قامت بقسطها فى تلك السِّفارة يسنُدُها فيه عاملان : الأول لجنتها الموقرة التى حرصت على أن تقدم للقراء أشهى ما وصل إلى يديها من زاد العلم والأدب والفنون . والثانى إقبالُ المؤلفين الأماثل من مصرَ والخارج على اتخاذها مَجْلَى لعرائس أفكارهم .

ونحن إذ نجدِّلُ على رؤوس أعضاء اللجنة الأعلام غار الشكر وأكاليلَ الثناء لما تجشَّموه من نَصَب وعناء دفعتهم

إليهما صداقتهم لدار المعارف ونبيلُ غايتهم فى نشر أشعة العلم والعرفان نشكر لحضرات المؤلفين تعهُّدَهم هذه السلسلة بالرَّى والعناية ، حتى كان لكل منهم زهرة ناضرة فى حديقتها ، كما نشكر أصدقاء الدار الذين تفضلوا فأجابوا دعوتنا وعلى رأسهم حضرة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا وهم الأولى لا يفتأون فى كل فرصة يغمروننا بآيات عطفهم وتشجيعهم .

فالله نسأل أن يلهمنا من أمرنا رَشَدا لنثابر فى خدمة هذا الوطن العزيز عن طريق نشر رسالة العلم والأدب فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ظهير العلم ونصير العلماء والسلام عليكم ورحمة الله .

تجربتي مع اقرأ

خمسون عاما من الثقافة الراقية

نجيب محفوظ

كان ظهور سلسلة « اقرأ » الثقافية منذ خمسين عامًا ظاهرة مضيئة في حياتنا الفكرية .. وكان لحجمها المحدود ومظهرها الأنيق وطباعتها الجيدة تأثير كبير فيما نالت من قبول لدى القارئ المتخصص وغير المتخصص على حد سواء .. فقد استطاعت سلسلة « اقرأ » أن تقدم إحاطة موضوعية لعديد من القضايا التي يحتاج المثقف العصري إلى الإلمام بها ، وذلك من خلال إنتاج عدد من العلماء وقادة الفكر والبيان في مصر والعالم العربي ، في مقابل ثمن زهيد وعرض يسير .

ويكفي أنها بدأت بأحلام شهر زاد لـ (طه حسين) وأنها ضمت قنديل أم هاشم لـ (يحيى حقي) وعمر بن أبي ربيعة لـ (عباس محمود العقاد) .. وفيها قرأنا لعلي الجارم ، وعبد الرحمن صدقي ، وفريد أبو حديد ، وسيد قطب .. وغيرهم ..

لقد كنت (زبونًا) مستديمًا لـ (اقرأ) في عددها الأول ولم يَفُتْني منها إصدار واحد .. فقد كانت إحدى وسائلي لمتابعة الإبداع والفكر في مجالات الأدب والعلم والسياسة والاقتصاد وغيرها ..

لقد قدمت « اقرأ » كل ما يمكن أن تقدمه سلسلة ثقافية على أرقى مستوى من العطاء ، مما دفع عديد من دور النشر أن تحذو حذوها ، فقدمت السلاسل المختلفة التى نافستها .. ولم تتفوق عليها ..

لقد ظلت الثقافة الرفيعة والمعرفة الراقية هى هدف (اقرأ) على مدى نصف قرن من الزمان .

موسوعة اقرأ

للدكتور شوقى ضيف

عنوان هذه الموسوعة الثقافية « اقرأ » عنوان موفق ، إذ هو أول كلمة نزل بها القرآن الكريم : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ وهى دعوة إلهية لتصبح أمة الإسلام أمة قراءة وكتب مقروءة ذات ثقافة موحدة روحية وفكرية ، ولتتسع طاقاتها لحضارة إنسانية ضخمة ، وسرعان ما وسعت العربية – بعد الفتوح الإسلامية – كلَّ ما كان لدى الأمم القديمة من كنوز الفكر والعلم .

واتخذت دار المعارف نفس العنوان : « اقرأ » لتحث أوساط المثقفين وجماهير الأمة العربية على قراءة كُتيِّبات موسوعتها الميسرة ، ورأت منذ أول الأمر – أن تعرض فيها ذاتنا وشخصيتنا العربية فى تراث الأمة الثقافى والحضارى بأبعاده الروحية والفكرية والتاريخية ، وما داخله من سمات إنسانية وقيم روحية وخلقية واجتماعية وأدبية ، وزاوجت بين هذا التراث وانفجار المعارف العلمية الغربية وشقيقاتها من المعارف الأدبية والاجتماعية ، وما حدث فى الغرب من ثورة تقنية .

وبذلك اتسع محيط موسوعة « اقرأ » سعة واضحة ، إذ اشتملت على قيم الإسلام ورسوله وعالميته وصلته بالمذاهب الحديثة ، واشتملت على

المعالم الكبرى للتاريخ العربى وأعلامه والقيادة فى حروبه والبطولة ، واشتملت على كثيرين من أعلام العرب فى العلم مثل « جابر بن حيان » وفى الفلسفة مثل ابن سينا وعنيت خاصة بشعراء الحب المثالى أو العذرى وبطائفة من كبار الشعراء ، « المتنبى » ، « وابن حمديس الصقلى » واهتمت بالدراسات الاجتماعية والنفسية ، مثل الطوطمية والزواج ومشاكله والمشكلات النفسية ، كما اهتمت بالمذاهب السياسية وقضية فلسطين .

ونشرت كتيبات كثيرة فى العلوم ، مثل نشأة الكون ، والعلم والحياة ، وغرائز الحيوانات ، والغبار الذَّرِّى ، وعصر الإليكترونات ، وعجائب الأرض والسماء ، كما نشرت أعدادًا فى الأدب العالمى والأدب الإيطالى ، وفى المسرح ، وفى الموسيقى ، وفى عقائد الهند وأساطيرها ، وبعض أساطير مصر الفرعونية وأيضا نشرت أعدادًا فى كُتَّاب الغرب وبعض فلاسفته وعلمائه الكبار ، مثل دانتى ، وبايرون ، وشكسبير ، وجوته ، وفولتير ، وشيلى ، وروسو ، وفيكتور هجو ، وتولستوى ، ومكسيم جوركى ، وبرنارد شو ، ورسل ، وأينشتين ، وعددًا عن بيتهوفن ، وآخر عن طاغور شاعر الهند العالمى ، كما نشرت أعدادًا عن كبار الأدباء والكتاب المصريين ، مثل رفاعة الطهطاوى ، وطه حسين ، وعباس العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، وتوفيق الحكيم .

ولاتكاد تجد كاتبًا مصريًّا كبيرًا أو أديبًا مصريًا مشهورًا إلا شارك فى بعض أعدادها ، من مثل : طه حسين ، وأحمد أمين ، وعباس العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وعلى الجارم ، ويحيى حقى ، وفريد أبو حديد ، وعلى مصطفى مشرفة ، وعبد الوهاب عزام ،ومحمود تيمور ،

وتوفيق الحكيم ، وفتحى رضوان ، وأنيس منصور ، ومحمد زكى عبد القادر ، وبنت الشاطئ ، وحسين مؤنس ، وعلى أحمد باكثير ، وعبد العزيز كامل ، وإبراهيم زكى خورشيد ، وغيرهم كثيرون .

ومعروف أن فنَّ القصص من أكثر الفنون الأدبية رواجًا وانتشارًا فى العصر الحاضر ، ولذلك نشرت فيه موسوعة « اقرأ » أعدادًا كثيرة ، منها لكبار الكتاب المصريين أحلام شهر زاد لطه حسين ، وسارة لعباس العقاد ، والرباط المقدس لتوفيق الحكيم ، وسنوحى — وهى قصة فرعونية — لمحمد عوض محمد ، وأشطر من إبليس لمحمود تيمور ، وعنترة لمحمد فريد أبو حديد وغادة رشيد لعلى الجارم ، وقنديل أم هاشم ليحيى حقى .

ووراء هذه القصص قصص أخرى لبعض المذكورين والأفذاذ من القصَّاصين المبدعين .

ولعل فى كل ما ذكرت ما يصور ما قدمته موسوعة « اقرأ » فى قطاعات الأدب والعلم والفكر ، مما يمتع النفوس ويغذى العقول ، وقد بلغت أعدادها حتى اليوم ٥٦٨ عددًا كتبتها صفوة من أعلام مصر وشقيقاتها العربية ، وهو التزام شهرى طوال عشرات من الأعوام ، أدت به دار المعارف خدمات جليلة فى إثراء الثقافة العربية المعاصرة ، والمأمول أن يطّرد هذا الإثراء فى الأعداد الجديدة لموسوعة « اقرأ » بعد عيدها الخمسين .

تحية وذكرى

الدكتور يوسف خليف

كان ظهور سلسلة « اقرأ » منذ نصف قرن من الزمان ، مع مطلع سنة ١٩٤٣ ، حدثًا ثقافيا ضخمًا له دلالته وأهميته فى المجتمع الثقافى على امتداد الوطن العربى الكبير ، فهو – من ناحية – صادر عن « دار المعارف » أكبر دار للنشر فى العالم العربى فى ذلك الوقت ، وأوسعها انتشارًا بين أقطاره الممتدة امتدادها العريض من الخليج إلى المحيط ، وأشدها جذبًا لكبار الأدباء والعلماء فى شتى أرجائه .

وهو – من ناحية ثانية – مشروع ثقافى جليل ، فكَّر فيه وخطط له وأخرجه من أن يكون فكرة إلى أن يكون واقعًا ، جماعة من قمم ذلك العصر ، « عصر التنوير » ، من أولئك الشوامخ الذين دفعوا حياتنا الثقافية على طريق النور ، وشقوا فى الأرض الطيبة ، أرض المعرفة ، مسالك جديدة ، وأوقدوا فى أرجائها الواسعة مشاعل النور ، تبدو الظلام ، وتكشف الحجب ، عن رؤية جديدة تصوغ حياتنا الثقافية صياغة جديدة .

وهو – من ناحية ثالثة – مشروع بعيد الطموح ، واسع الأفق ، يسعى إلى تيسير المعرفة فى كل مجالاتها لكل من يطلبها ، وتوفير الثقافة من كل ألوانها لكل من يبحث عنها ، ويهدف إلى أن يقدِّم زادًا خصبًا وفيرًا

متنوعًا لكل من يريد أن يقرأ ، وكأنه دعوة مبكرة لتلك الدعوة المباركة : « القراءة للجميع » .

ومن الحق ما ورد فى مقدمة العدد الأول من هذه السلسلة الذى صدر فى شهر يناير من سنة ١٩٤٣ من أنها « جهد من الجهود التى تبذل فى سبيل نشر الثقافة وترقية الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات » ، وأنها « نتيجة طبيعية لهذا الطور الذى نحن فيه من أطوار حياتنا » ، ومن أجل ذلك كان « التفكير فى إنشاء هذه السلسلة من الكتب القصيرة اليسيرة الرخيصة التى يسهل شراؤها ، وتهون قراءتها ، ويقرب الانتفاع بها والاستمتاع بما فيها ، ولا يشق ثمنها على أوساط الناس ولا على فقرائهم » .

وحقًّا لقد كان ثمنها ميسَّرا لكل من يطلبها ، وبخاصة نحن الذين كنا طلابًا فى ذلك الوقت فى المدارس الثانوية وفى الكليات الجامعية .. « بثمنٍ بَخْسٍ دراهمَ معدودةٍ » دَفَعَ مِثْلَها مِنْ قبلُ مَن اشترى يوسف الصِّدِّيق ليكون بعد حين من الدهر « على خزائن الأرض » ، ولينشر فى وادى النيل ، فى مهد الحضارة ، ديانة التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد ، مُعْلِنًا فى تساؤل حاسم لا يحتمل إلا إجابة واحدة : ﴿أأرْبَابٌ مُتَفَرِّقُون خَيْرٌ أم اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ﴾ .

لقد كنا – نحن جيل الشباب الذى كان يبدأ خطواته الأولى على طريق العلم والمعرفة ، نترقب فى أول كل شهر العدد الصادر من هذه السلسلة ، وكأننا نترقب فجرًا يبشِّرنا بيوم جديد تتدفق معه ينابيع النور من الأفق

البعيد ، أو كأننا ننتظر أملاً يتجدد مع مطلع كل شهر ، يحمل معه ما كنا نحلم به طَوَال الشهر مما يقدمه لنا أولئك العمالقة الكبار من دنيا المعرفة والثقافة ، من فوق القمَم الشامخة التى كنا نتطلع إليهم فوقها ، وكأنهم آلهة « الأوليمب » فوق قِممه الأسطورية ، نتخذ منهم المَثَلَ والقُدْوة ، ونرى فيهم المعلم والأستاذ : المَثَلَ الأعلى ، والقدوة الحسنة ، والمعلم الأول ، والأستاذ الأكبر .

وكانت الكلمة التى اتَّخَذَتْها هذه السلسلة شعارًا لها هى تلك الكلمة الطيبة التى كانت أول كلمة سمعها رسول الله ﷺ من أمين الوحى جبريل عليه السلام ، وأول صوت إلهىّ رنَّ فى أعماق جبل النور ، فى غار حراء ، لينتشر بعد ذلك فى آفاق الأرض ، كانت « اقرأ » التى اقترح أستاذنا الجليل أحمد أمين أن تكون اسْمًا لهذه السلسلة الثقافية الطيبة التى طلعت ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ﴾ .

وكان العدد الأول منها تحيةً رائعة يقدِّمها عميد الأدب العربى أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين إلى كل من استجاب لدعوة « اقرأ » فى أرجاء الوطن العربى الكبير : « أحلام شهر زاد » التى عشنا معها لا « الليلة التاسعة بعد الألف » ، كما بدأ الأستاذ العميد حديثه فى بدايتها ، ولكننا عشنا معها أيضًا الليالى القديمة حتى أول ليلة بعد ألف ليلة ، أعادنا إليها أو أعادها إلينا حديثه الساحر الخلاب الذى كان ينساب فى أعماقنا ناعمًا رقيقًا ليحملنا معه إلى دنيا طالما حلمنا بها من الفتنة والسحر والعطور والبخور مع « شهر زاد » ، دنيا عشناها مع أحلامها الجديدة لم يخرجنا

منها إلا « ديكُ الصباح » الذى أذَّن مع مطلع الشهر التالى معلنًا فجرًا جديدًا مع رائعة أخرى من روائع هؤلاء القمم الشوامخ التى ارتفعت على طريق « التنوير » ، مع العقاد العظيم فى دراسته الممتازة عن « شاعر الغزل عمر بن أبى ربيعة » التى عشنا معها ليالى الحب والغزل والدلال والجمال مع شاعر الحب الأكبر فى تاريخ الشعر العربى ، الذى عاش حياته للحب ، وعاش فنه للغزل .

وتوالت بعد ذلك أعداد السلسلة ، كلمةً طيِّبة بعد كلمة طيّبة ، تحمل أسماء الأعلام الذين كنا نعيش طَوّالَ الشهر بعد الشهر على ما يقدِّمونه لنا من « أوراق الورد » التى جمعناها فى دنيانا الصغيرة التى كنا نبدأ خطواتنا الأولى على طريق المعرفة فيها ، لنحتفظ بها رصيدًا ثريًّا يتضاعف شهرًا بعد شهر أضعافًا مضاعفة : أحمد أمين والجارم والمازنى وأبو شادى وأبو حديد وزكى مبارك وتوفيق الحكيم ويحيى حقى ، وكثير كثير غيرهم . وما أرانى فى حاجة إلى أن أمضى فى سرد هذه الأسماء اللامعة التى كانت – وما زالت – تتألق كالنجوم فى سماء حياتنا الثقافية فى شتى مجالاتها : الأدب والفن والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والحضارة والتراجم والرحلات والطب والعلوم والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وغيرها وغيرها من المجالات .

وحسب هذه السلسلة أن تكون قد قَدَّمتْ إلى قُرَّاء العالم العربى على امتداد آفاقه هذه الباقة من « أوراق الورد » التى تعتز حياتنا الثقافية بها وبأصحابها : الوعد الحق ، والحب الضائع ، والمعذَّبون فى الأرض ،

ورحلة الربيع ، وصوت أبى العلاء ، وسارة ، وفى بيتى ، وعبقرية الإمام ، والصديقة بنت الصديق ، وجميل بثينة ، وابن سينا ، وفلاسفة الحكم من العصر الحديث ، وعَوْد على بَدْء ، ومن النافذة ، وقنديل أم هاشم ، ودماء وطين ، وشكسبير وبايرون وشلى وبرنارد شو ، وبودلير ، ولمولتير ، وجوته ، وتولستوى ، وبوشكين ، وتشيخوف ، وبيتهوفن ، وإِبْسنْ ، وما لا أستطيع أن أحصيه عددًا من هذه الباقة العطرة من « أوراق الورد » .

لقد استطاعت هذه السلسلة على امتداد نصف القرن من الزمان الذى مضى على مولدها أن تحقق إنجازين كبيرين لهما دورهما المؤثر فى حياتنا الثقافية ، فهى – من ناحية – قدَّمت هذه الخلاصة الميسَّرة من الفكر الإنسانى والثقافة العالمية لكل من يطلب هذا الفكر ويسعى إلى هذه الثقافة ، كأنها خلية من النحل يجمع عصارات الزهر ليقدمها عسلاً مصفَّى ، شرابًا مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس . وهى – من ناحية أخرى – أكَّدَتْ أهمية الكتاب فى زحمة الحياة المعاصرة ، وفى مواجهة تحديات العصر ، حين استطاعت أن تحقق هذه الموازنة البارعة وهذا الانسجام الذكىّ بينه وبين سرعة إيقاع الحياة التى نحياها ، واضطراب نبْض العصر الذى نعيش فيه ، وتشتُّت مُعْطَياته التى نتعامل معها .

تحية لدار المعارف التى قدَّمت هذه السلسلة المتواصلة من روائع الفكر والثقافة والفن والأدب ، وتحية لهذه السلسلة فى عيدها الفضى ، ولْنُنشِد معها فيه بيت المتنبى العظيم :

أعزُّ مكانٍ فى الدُّنى سَرْجُ سابحٍ   وخيرُ جليسٍ فى الزمـــانِ كتابُ

ولْنرددْ مع كل عدد يصدر منها قول الحق – سبحانه – الذى استوحت منه شعارها : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .

* * *

حكايــة اقــرأ

د . مصطفى محمود

فنُّ الإيجاز فن رفيع لا يقدر عليه إلا أهله وأربابه .. وإن تبسيط الحقيقة فى مجلد أسهل من أن نقولها فى صفحة أو نوجزها فى سطر .

والله كشف لنا من عجائب صُنعه كيف أودع الصفات الوراثية للجنس الإنسانى كله بطول التاريخ فى بضع خيوط وشرائط وراثية لا تملأ واحدًا على مائة من سعة فنجان .. وكيف أخفى قدر كل مخلوق فى لوح محفوظ حجمه $\frac{١}{١٠٠٠٠٠}$ من المِلّيمتر اسمه الكروموسوم .

ودار المعارف : طالعتنا منذ خمسين سنة بلون من هذا الإيجاز الجميل فى كتابها الشهرى « اقرأ » تسابق فيه الكتاب والأدباء والفنانون فى تقديم خلاصات من فنونهم وأدبهم فى عجالة مركزة تقرؤها فى ساعة زمان .

وكلنا نذكر كتاب العقاد .. فى بيتى .. الذى ظهر فى اقرأ .. وكيف التهمناه فى نهم وطلبنا المزيد .. وكيف تعرف بعضنا على العقاد لأول مرة فى هذا الكتيب النفيس ، وغيره وغيره العشرات والمئات من النفائس ، قدمتها لنا دار المعارف فى سلسلة « اقرأ » .

وقد سبقت بذلك دار المعارف غيرها من دور النشر في الإحساس بنبض العصر الذى اتسم بالسرعة ، وبالوقت الذى ضاق بأصحابه عن استيعاب المطولات والمجلدات ، وأصبح يضغط على المطابع لتخرج مخزونها فى كتيبات موجزة وعجالات مركزة ، تشبع احتياج القارئ الجديد وظروفه والتطور والتطوير صفة الأحياء .

ودار المعارف كانت دائما أكثر دور النشر تطورًا وتجددًا .. ومازال القارئ ينتظر منها الجديد ، ومازالت تعطى كعادتها كل طريف وجديد .

جزاها الله عن قرائها خيرا

مصطفى بهجت بدوى

بنفس التوفيق الكبير الذى حدا بدار المعارف أن تزين بالفعل الأمر الحادب من قوله تعالى فى قرآنه الكريم : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خَلق﴾ وتجعل من « اقرأ » عنوانًا ثابتًا لسلسلتها من كتب شهرية تصدرها ، فإن هذا التوفيق الكبير لازَمَ هذه الدار العزيزة فى اختيار وتقديم المادة الزاخرة بالعلم والأدب والعذوبة التى تفيض فى تلك السلسلة وتبيت منهلاً عذبًا بالفعل .

لقد صدقت دار المعارف فيما قالت وفعلت . ألم تظهر بالحق فى غلافها قولها : « عنوان هذه السلسلة خير ما يُوَجَّهُ إلى الأفراد والجماعات ، بل هو خير ما وجه إلى الإنسان منذ تحضَّر . إنها تعمل على جعل الثقافة فى متناول الجميع » .

ولقد بدأت هذه السلسلة الشيقة فى سنة ١٩٤٣ فى نفس التوقيت الذى تفتحت فيه شهيتى أكثر وأكثر للقراءة . وكنت قبل هذا التاريخ بشهور قد عرفت طريقى إلى دار الكتب ، وأمضيت فيها ساعات تلو الساعات أعكف على قراءة ذخائر فيها أو أستعير منها لأحيى فيه وقت فراغى فى بيتى بدلا من أن أقتل وقت الفراغ فيما لا يفيد .

وأذكر أننا تنافسنا – أبى رحمة الله عليه ، وكاتب هذه السطور – فى شراء واقتناء الكتب من سلسلة اقرأ . لم يدفعنا إلى ذلك كونها بدراهم معدودة – خمسة قروش .. بقدر ما دفعنا حب اقتنائها وقراءتها ومتابعتها بما يشبه التنافس بيننا أو يمثل نوعًا من الاستقلالية لدى الفرع الذى هو شخصى – عن الأصل الذى هو أبى . وكأنما رحنا نطبق ما نوهت عنه السلسلة من كلام مطبوع فى ظهر الغلاف حين تحدثت عن نفسها أيضًا قائلة : « إنها نواة صالحة لإنشاء مكتبة زهيدة الثمن كبيرة الفائدة فى كل منزل يستفيد منها الشباب والشيوخ على السواء » .

ولا أحسب أن أى مثقف – بل أى قارئ معاصر – يمكن أن تخلو مكتبته من مجموعة أو أخرى أصدرتها سلسلة اقرأ .

وفى ظنى أن « اقرأ » لم تفد قراءها فحسب ، بل إنها أفادت كتَّابها ودفعتهم إلى شحذ أقلامهم والغوص فى بحار العلم والأدب والتاريخ والثقافات عامة ليخرجوا إلى قرائهم باللآلىء من القول ، كما أنها طوَّعت لهم سبل كتابة السهل المختصر الممتع ، وربما كان السهل الممتنع ، بل أزعم أن دار المعارف بسلسلتها « اقرأ » هذه التى تحتفل بخمسين عامًا من عمرها المعطاء – ويوبيلها الذهبى – فهى كما خلقت أجيالاً من القراء فإنها أيضًا أنبتت أجيالاً من الكُتَّاب الذين نَشئُوا معها إلى جوار كُتَّابها المشهورين المرموقين .

هل لى أن أقول إن صدور نحو ٦٠٠ كتاب من سلسلة اقرأ عبر خمسين عامًا ، إنما هى شهادة نجاح للقارئ المصرى والعربى فى

استجابته وحرصه الدائب والمستمر إلى ما شاء الله بقدر ما هي شهادة لدار المعارف والقائمين عليها عبر هذه السنوات الطوال بلا ملل ، ضمانًا لمسيرة هذه السلسلة التي اشتد عودها ، والتي هي برغم كل السنين لم تدب فيها الشيخوخة ، وإنما ظلت شبابًا متطورًا ومتألقًا نعم هذا حق فلا يمكن أن تبقى هذه السلسلة قائمة سالمة بدون أن يصيبها الوهن إلا إذا كان الطرفان - الناشر والقارئ - على مستوى عالٍ متوازن من المقدرة التي تستحق كل تقدير .

ولقد أتساءل بعد نصف قرن من الزمان ، ماذا بقي عندي في أعماقي من سلسلة اقرأ « واختلافُ النهار والليل يُنْسِي » على حد تعبير أمير الشعراء أحمد شوقي بك في سينيته الأندلسية الشهيرة التي عارض بها سينية البحتري .

ولست أدعي أنني قرأت كل ما صدر عن سلسلة اقرأ ، ولكنني قرأت الكثير ، وخاصة في الصبا وأيام أنسي ، ثم مع شرخ الرجولة وأبواب الكهولة .

غير أن الذي بقي .. في تقديري - كثير ، وهو الذي أخاله أسَّسَ وشكَّل مع العديد من القراءات الأخرى أرضية - وربما فرضية - ثقافية لدى . ولعل منه ما تحول مع معطياتي الأخرى إلى سطور في كتب مختلفة أصدرتها ، وفي مقالات حررتها خلال عملي الطويل في الصحافة ، بل لا أتعدى الحقيقة إذا نسبت لهذه السلسلة وغيرها من القراءات في دواوين الشعر ودواوين الحياة - فصل انبعاث « ونضج » الشعر في نفسي

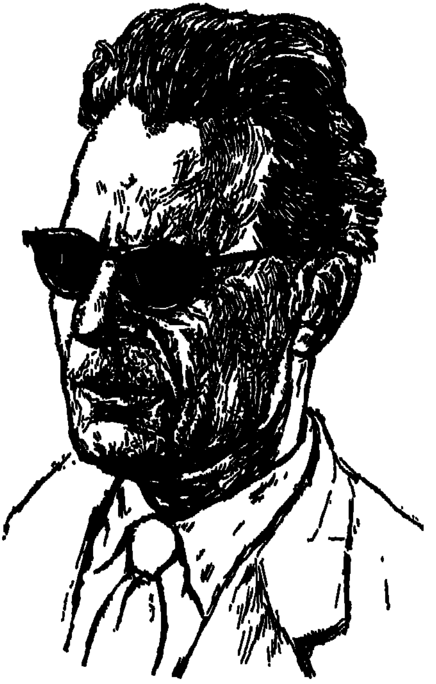
ووجداني . بمعنى أنني أجد « اقرأ » متناثرة بصورة ما ، أو منتظمة بشكل ما ، في أبيات شعرى ، ولا أتردد في أن أمتن لها ولغيرها وأذكرها بالعرفان عبر ثمانية دواوين من الشعر أصدرتها حتى الآن ،ولا أعلم ما إذا كان في العمر متسع لإصدار ديوان تاسع إذا أراد الله سبحانه . وعلى أى حال حسبى ما أصدرت ، ولكن لا يمكن أن أقول حسبى ما قرأت ، لأن المرء لابد أن يقرأ بقدر استطاعته مادامت الحياة .

تحية لدار المعارف ولسلسلة « اقرأ » في عيدها الخمسيني ، ولتأذنوا لى أن أقول : إن هذه التحية المباركة هي بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن جمهرة قرائها الذين تتسع قاعدتهم عامًا بعد آخر .. وليجزها الله عنهم أحسن الجزاء .

ورحم الله أياما كانت الخمسة قروش فيها تستطيع شراء كتاب لا ينقص من قيمته ، أنه كان كسلسلة اقرأ كتابًا رشيقًا دقيق القطع في قرابة ١٢٨ صفحة .

تجربتي مع القراءة

طـه حسين



زاد الشعب

هو القراءة يقبل عليها ويشبع بها جوعه إلى العلم والمعرفة وألوان الحضارة . إن الحث على القراءة خير ما يوجه إلى الأفراد والجماعات ، فى جميع الأمم والشعوب ، وفى الشعوب العربية بوجه خاص ، بل هو خير ما وجه إلى الإنسان منذ تحضر إلى الآن .

ولقد بدئ تنزيل القرآن بفعل قصير خطير هو كلمة « اقرأ » ؛ فكان أول ما خوطب به النبى – ﷺ – وخوطب به الناس من بعده ، هو هذا الأمر الكريم بالقراءة .

وكان صاحب المنطق – كما يسميه الجاحظ – يقول إن الإنسان حيوان ناطق ، وكان النطق عنده فيما يحدثنا الفلاسفة أشمل من إدارة اللسان فى الفم باللفظ الذى يبلغ السمع ، فينقل إليك ما فى نفس محدثك . كان النطق عند أرسطاطاليس يدل على التفكير والتعبير جميعًا ، لكن أرسطاطاليس لم يعرّف الإنسان بأنه حيوان ناطق فحسب ، وإنما وصفه بأنه مدنى بالطبع ، كما ترجم القدماء ، أو أنه اجتماعى بالطبع ، كما يترجم المحدثون .

وما نعرف شيئًا يحقق للإنسان تفكيره وتعبيره ومدنيته ، كالقراءة ، فهى تصور التفكير على أنه أصل لكل ما يقرأ ، وعلى أنه غاية لكل

ما يقرأ . فالكاتب يفكر قبل أن يكتب ، وأثناء كتابته ؛ والقارئ يفكر فيما يقرأ أثناء قراءته ، وبعد أن يقرأ .

وكذلك يمضى الإنسان فى تحقيق هاتين الخصلتين اللتين تميزانه وتضعانه حيث أراد الله له أن يكون من التفوق والرقى ، وهما العقل والمدنية . فإذا أمر الله الإنسان بأن يقرأ ، فإنما يأمره بأن يطمح إلى الكمال ، ويسعى إليه . وإذا كانت القراءة أخص مميزات الحضارة ، تكثر وتنتشر إذا اتسعت الحضارة وارتقت ، وتقل وتتضاءل إذا ضاقت الحضارة وانحطت ، فقد يكون من أيسر التعبير وأوجزه فى يوم من الأيام أن تختصر الطريق ، وأن يعرف الإنسان بأنه حيوان قارئ دون أن يكون فى هذا التعريف تجاوز لما قصد إليه أرسططاليس .

وكانت القراءة فى أول أمر الإنسان مقصورة على قلة ضئيلة من الناس فى كل شعب من الشعوب المتحضرة ، وكان رقى الحضارة واتساعها يدعوان إلى شيوع القراءة وانتشارها ، حتى كان هذا العصر الحديث ، وحتى كانت الديمقراطية التى أخذت تلغى الفروق والامتيازات وتقرب ما بين الطبقات .

وإذا القراءة تصبح حقًّا شائعًا لكل إنسان بل واجبًا محتومًا على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة . وإذا الدول تشعر بهذا الحق وتفرض على نفسها أو تفرض عليها الشعوب تعليم القراءة لكل فرد من الناس دون أن تتقاضى على ذلك منه أجرًا . ونحن نعلم أن الدول إنما تعلم أبناء الشعب هذه القراءة الآلية وقليلاً جدًّا مما يهيئهم

للقراءة التي ترقي العقل ، وتنقى الطبع ، وتصفى الذوق ؛ ولكن القراءة على كل حال هى الطريق الطبيعية الميسرة لرقى العقل ، والطبع ، والخلق ، والذوق . وحيثما انتشرت القراءة طلب الناس ما يقرءون ، وتنافس الممتازون منهم فى أن يقدموا إليهم ما يقرءون ، ونشأ عن هذا كله ما نعرفه من قوة الحياة العقلية ، وخصبها ، وما ينشأ عنها من نتائج لا تحصى فى حياة الناس ، وقد أخذت الدولة فى الشرق تعلم الناس القراءة ، وأخذ الناس يطلبون ما يقرءون ، وأخذ الكتاب يتنافسون فى أن يقدموا إليهم ما يقرءون .

ولكن الإنسان كسل بطبعه أيضًا ؛ فهو مشوق بطبعه إلى الرقى ، ولكنه مدفوع بطبعه إلى حب اليسر ، وإيثار السهولة ، وتجنب الجهد الشاق ما وجد إلى ذلك سبيلا ؛ وهو محب للقراءة ما فى ذلك شك ، ولكنه يريد أن تيسر له هذه القراءة ، ووجوه التيسير كثيرة مختلفة ، أخطرها وأعظمها ضررًا هو الذى يشيع وينتشر ، مع الأسف الشديد ، فالكلام السهل اليسير المبتذل القريب الذى ينتشر فى الصحف السيارة التى يكفى الإنسان أن يمد يده ليتناولها ، وفى الكتب الرخيصة التى يحصلها القارئ دون أن يشق على ماله ويقرؤها دون أن يشق على عقله – هذا الكلام هو الذى يتهافت عليه القارئ بحكم هذه الخصلة الطبيعية فى تكوينه ، وهى خصلة الكسل ، وإيثار الهين من الأمور ، فلابد إذن من أن تقاوم هذه الخصلة ما استطاع المثقفون مقاومتها ، ولابد من أن تقرب القراءة الممتعة الخصبة إلى الناس حتى يستطيعوا أن يقرءوا فى غير مشقة على عقولهم ولا على أموالهم .

وليس كل ما ينتجه العقل الإنسانى ميسر القراءة للناس ، فهناك الممتازون فى الثقافة ، ولكن هناك أصحاب الثقافة المتوسطة وأصحاب الثقافة المتواضعة . وليس من اليسير أن يسيغ أولئك وهؤلاء ما يكتبه الممتازون من الفلاسفة والعلماء والأدباء . وليس من الحق ولا من العدل أن يحرم أولئك وهؤلاء خير ما يثمره العقل الإنسانى من الإنتاج . فلابد إذن من أن يأخذوا منه بحظ ما ، لابد من أن يرتفعوا إليه شيئًا ومن أن يهبط هو إليهم شيئًا ، حتى يكون هذا اللقاء الخصب الذى يعم به نفع العلم والفلسفة والأدب .

وكل هذه الملاحظات دعت أصحاب الرأى إلى التفكير فى إنشاء سلاسل من الكتب القصيرة اليسيرة الرخيصة التى يسهل شراؤها وتهون قراءتها ويقرب الانتفاع بها والاستمتاع بما فيها ولا يشق ثمنها على أوساط الناس ولا على فقرائهم .

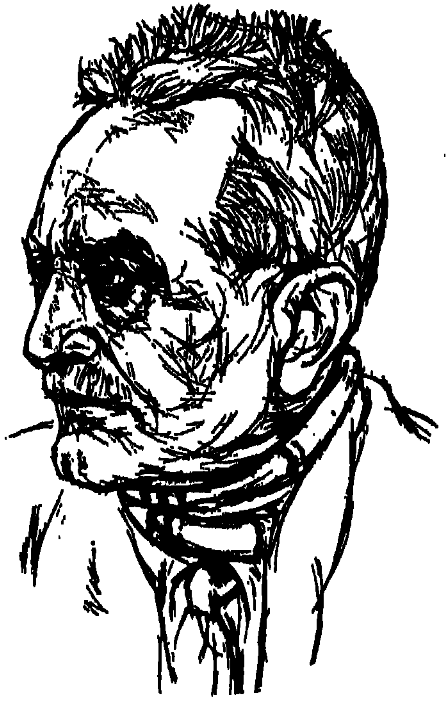
فمثل تلك السلاسل جهد من الجهود التى تبذل فى سبيل نشر الثقافة وترقية الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات وهى نتيجة طبيعية لهذا الطور الذى نحن فيه من أطوار حياتنا . وفى الأرض أمم سبقتنا فى هذا العصر الحديث إلى الرقى وقطعت فيه أشواطًا لم نقطعها بعد وهى مع ذلك بل من أجل ذلك تنشئ أمثال تلك السلاسل وتبذل فى إنشائها وإذاعتها وتيسيرها جهودًا عظيمة موفقة . فكيف بنا وحاجتنا إلى هذا التيسير أشد من حاجتها ، وضرورات الحياة الحديثة تفرض علينا أن نقطع أبعد الآماد

إلى الرقى فى أقصر الأوقات لنستدرك ما فاتنا ولنبلغ حقنا من المساواة بيننا وبين الشعوب المتفوقة .

والنية فى تلك السلاسل أن تكون على يسرها وقربها متنوعة أشد التنوع وأنفعه . فهى تنشر المؤلفات الحديثة كما تنشر الآثار القديمة ، وهى تنشر الآثار التى تؤلف كما تنشر الآثار التى تترجم ، وهى تنشر من هذا كله فى كل فرع ممكن من فروع الإنتاج العقلى : فى الأدب الإنشائى وفى الأدب الوصفى ، فى العلم الخالص وفى العلم التطبيقى ، فى السياسة ، فى التاريخ ، فى العمران والاجتماع ، فى كل لون من ألوان هذا النشاط الذى يجعل العقل الإنسانى منتجًا فى جميع فنون المعرفة ، ذلك لأن الذين يعنون بإنشاء هذه السلاسل ونشرها لا يفكرون إلا فى شىء واحد هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب وأن ينتفعوا وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى يحيونها .

طه حسين

عباس محمود العقاد



لماذا هويت القراءة ؟

أول ما يخطر على البال – حين يوجه هذا السؤال إلى أحد مشتغل بالكتابة – أنه سيقول : إننى أهوى القراءة لأننى أهوى الكتابة !

ولكن الواقع أن الذى يقرأ ليكتب وكفى هو « موصل رسائل » ليس إلا .. أو هو كاتب « بالتبعية » وليس كاتبًا بالأصالة . فلو لم يسبقه كتاب آخرون لما كان كاتبًا على الإطلاق ، ولو لم يكن أحد قبله قد قال شيئًا لما كان عنده شىء يقوله للقراء .

وأنا أعلم فيما أعهده من تجاربى أننى قد أقرأ كتبًا كثيرة لا أقصد الكتابة فى موضوعاتها على الإطلاق ، وأذكر من ذلك أن أديبًا زارنى فوجد على مكتبى بعض المجلدات فى غرائز الحشرات ، فقال مستغربًا : وما لك أنت وللحشرات ؟ .. إنك تكتب فى الأدب وما إليه ، فأية علاقة للحشرات بالشعر والنقد والاجتماع ؟

ولو شئت لأطلت فى جوابه . ولكننى أردت أن أقتضب الكلام بفكاهة تبدو كأنها جواب وليس فيها جواب .

فقلت : نسيت أننى أكتب أيضًا فى السياسة !

قال نعم : نسيت ، والحق معك ! .. فما يستغنى عن العلم بطبائع الحشرات رجل يكتب عن السياسة والسياسيين فى هذه الأيام !

والحقيقة كما قلت مرارًا أن الأحياء الدنيا هى « مسودات » الخلق التى تتراءى فيها نيات الخالق كما تتراءى فى النسخة المنقحة ، وقد تظهر من « المسودة » أكثر ما تظهر بعد التنقيح . فإذا اطلع القارئ على كتاب فى الحشرات ، فليس من اللازم اللازب أن يطلع عليه ليكتب فى موضوعه ، ولكنه يطلع عليه لينفذ إلى بواطن الطبائع وأصولها الأولى ، ويعرف من ثم كيف نشأ هذا الإحساس أو ذاك الإحساس ، فيتقرب بذلك من صدق الحس وصدق التعبير ، ولو فى غير هذا الموضوع .

كذلك لا أحب أن أجيب عن السؤال كما أجاب قارئ التاريخ فى البيت المشهور :

ومن وعى التاريخ فى صدره أضـــاف أعمـــارًا إلى عمره

فليست إضافة أعمار إلى العمر بالشيء المهم إلا على اعتبار واحد ، وهو أن يكون العمر المضاف مقدارًا من الحياة لا مقدارًا من السنين ، أو مقدارًا من مادة الحس والفكر والخيال ، لا مقدارًا من أخبار الوقائع وعدد السنين التى وقعت فيها . فإن ساعة من الحس والفكر والخيال تساوى مائة سنة أو مئات من السنين ، ليس فيها إلا أنها شريط تسجيل لطائفة من الأخبار وطائفة من الأرقام .

* *

كلا .. لست أهوى القراءة لأكتب ، ولا أهوى القراءة لأزداد عمرًا فى تقدير الحساب ..

وإنما أهوى القراءة لأن عندى حياة واحدة فى هذه الدنيا ، وحياة واحدة لا تكفينى ، ولا تحرك كل ما فى ضميرى من بواعث الحركة .

والقراءة دون غيرها هى التى تعطينى أكثر من حياة واحدة فى مدى عمر الإنسان الواحد ، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق ، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب ..

فكرتك أنت فكرة واحدة ..

شعورك أنت شعور واحد ..

خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك ..

ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى ، أو لاقيت بشعورك شعورًا آخر ، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك .. فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين ، أو أن الشعور يصبح شعورين ، أو أن الخيال يصبح خيالين ..

كلا .. وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقى مئات من الفكر فى القوة والعمق والامتداد .

* * *

والمثل على ذلك ، محسوس فى عالم الحس والمشاهدة ، ومحسوس فى عالم العطف والشعور .

ففى عالم المشاهدة يجلس المرء بين مرآتين فلا يرى إنسانًا واحدًا أو إنسانين اثنين ، ولكنه يرى عشرات متلاحقين فى نظره إلى غاية ما يبلغه النظر فى كل اتجاه .

وفى عالم العطف والشعور نبحث عن أقوى عاطفة تحتويها نفس الإنسان فإذا هى عاطفة الحب المتبادل بين قلبين .. لماذا ؟ .. لأنهما لا يحسّان بالشىء الواحد كما يحسّ به سائر الناس ..

لا يحسّان به شيئًا ولا شيئين ، وإنما يحسّان به أضعافًا مضاعفة لا تزال تتجاوب وتنمو مع التجاوب إلى غاية ما تتسع له نفوس الأحياء .

هكذا يصنع التقاء مرآتين ، وهكذا يصنع التقاء قلبين .. فكيف بالتقاء العشرات من المرائى النفسية فى نطاق واحد ؟

وكيف بالتقاء العشرات من الضمائر والأفكار ؟

إن الفكرة الواحدة جدول منفصل .

أما الأفكار المتلاقية فهي المحيط الذى تتجمع فيه الجداول جميعًا ، والفرق بينها وبين الفكرة المنفصلة كالفرق بين الأفق الواسع والتيار الجارف ، وبين الشط الضيق والموج المحصور .

وقد تختلف الموضوعات ظاهرًا أو على حسب العناوين المصطلح عليها ، ولكنك إذا رددتها إلى هذا الأصل كان أبعد الموضوعات كأقرب الموضوعات من وراء العناوين .

أين غرائز الحشرات مثلا من فلسفة الأديان ؟

وأين فلسفة الأديان من قصيدة غزل وقصيدة هجاء ؟

وأين هذه القصيدة أو تلك من تاريخ نهضة أو ثورة ؟

وأين ترجمة فرد من تاريخ أمة ؟

ظاهر الأمر أنها موضوعات تفترق فيما بينها افتراق الشرق من الغرب والشمال من الجنوب .

وحقيقة الأمر أنها كلها مادة حياة ، وكلها جداول تنبثق من ينبوع واحد وتعود إليه .

غرائز الحشرات بحث فى أوائل الحياة .

وفلسفة الأديان بحث فى الحياة الخالدة الأبدية .

وقصيدة الغزل أو قصيدة الهجاء قبسان من حياة إنسان فى حالى الحب والنقمة ..

ونهضة الأمم أو ثورتها هما جيّشان الحياة فى نفوس الملايين ، وسيرة الفرد العظيم معرض لحياة إنسان ممتاز بين سائر الناس .

وكلها أمواج تتلاقى فى بحر واحد ، وتخرج بنا من الجداول إلى المحيط الكبير ..

ولم أكن أعرف حين هويت القراءة أننى أبحث عن هذا كله ، أو أن هذه الهواية تصدر من هذه الرغبة .

ولكننى هويتها ونظرت فى موضوعات ما أقرأ فلم أجد بينها من صلة غير هذه الصلة الجامعة ، وهى التى تتقارب بها القراءة عن فراشة ، والقراءة عن المعرى وشكسبير .

لا أحب الكتب لأننى زاهد فى الحياة .

ولكننى أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفينى .. ومهما يأكل الإنسان فإنه لن يأكل بأكثر من معدة واحدة ، ومهما يلبس فإنه لن يلبس على غير جسد واحد ، ومهما يتنقل فى البلاد فإنه لن يستطيع أن يحل فى مكانين . ولكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيوات فى عمر واحد ، ويستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل ، وتتضاعف الصورة بين مرآتين .

* * *

والكتب المفضلة عندى هى كتب فلسفة الدين ، وكتب التاريخ الطبيعى ، وتراجم العظماء ، وكتب الشعر .

إننى أقرأ هذه الكتب وأعتقد أن العلاقة بينها متينة ، وإن كانت تفترق فى الظاهر ، لأنها ترجع إلى توسيع أفق الحياة أمام الإنسان . فكتب فلسفة الدين تبين إلى أى حد تمتد الحياة قبل الولادة وبعد الموت ، وكتب التاريخ الطبيعى تبحث فى أشكال الحياة المختلفة وأنواعها المتعددة ، وتراجم العظماء معرض لأصناف عالية من الحياة

القوية البارزة ، والشعر هو ترجمان العواطف ، فإننى أفضل من الكتب كل ماله مساس بسر الحياة .

* * *

وتسألنى ما هو سر الحياة ، فأقول على الإجمال إننى أعتقد أن الحياة أعم من الكون ، وأن ما يرى جامدًا من هذه الأكوان أو مجردًا من الحياة إن هو فى نظرى إلا أداة لإظهار الحياة في لون من الألوان أو قوة من القوى .. والحياة شيء دائم أبدى أزلى ، لا بداية له ولا نهاية ..

فإذا كنت تستطيع أن تعرف سر الله عرفت سر الحياة ، ولكننا مطالبون بأن نحفظ لأنفسنا فى هذا المحيط الذى لا نهاية له أوسع دائرة يمتد إليها شعورنا وإدراكنا . والكتب هى وسائل الوصول إلى هذه الغاية . وهى النوافذ التى تطل على حقائق الحياة ، ولا تغنى النوافذ عن النظر .

ومن جهة أخرى فإن الكتب طعام الفكر ، وتوجد أطعمة لكل فكر كما توجد أطعمة لكل بنية ، ومن مزايا البنية القوية أنها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام . وكذلك الإدراك القوى يستطيع أن يجد غذاء فكريًّا فى كل موضوع . وعندى أن التحديد فى اختيار الكتب إنما هو كالتحديد فى اختيار الطعام . وكلاهما لا يكون إلا لطفل فى هذا الباب أو مريض ، فاقرأ ما شئت تستفد إذا كان لك فكر قادر أو معدة عقلية

تستطيع أن تهضم ما يلقى فيها من الموضوعات ، وإلا فاجعل القابلية حكمًا لك فيما تختار لأن الجسم فى الغالب يغذيه ما نشتهيه .

ولا تغنى الكتب عن تجارب الحياة ، ولا تغنى التجارب عن الكتب ، لأننا نحتاج إلى قسط من التجربة لكى نفهم حق الفهم ، أما أن التجارب لا تغنى عن الكتب ، فذلك لأن الكتب هى تجارب آلاف من السنين فى مختلف الأمم والعصور ، ولا يمكن أن تبلغ تجربة الفرد الواحد أكثر من عشرات السنين ..

* * *

ولا أظن أن هناك كتبًا مكررة لأخرى ، لأنى أعتقد أن الفكرة الواحدة إذا تناولها ألف كاتب أصبحت ألف فكرة ، ولم تعد فكرة واحدة .. ولهذا أتعمد أن أقرأ فى الموضوع الواحد أقوال كتاب عديدين ، وأشعر أن هذا أمتع وأنفع من قراءة الموضوعات المتعددة . فمثلا أقرأ فى حياة نابليون أكثر من أقوال ثلاثين كاتبًا وأنا واثق من أن كل نابليون من هؤلاء هو غير نابليون الذى وصف فى كتب الآخرين .

أما تأثير كل من أنواع الكتب الثلاثة : العلمية ، والأدبية ، والفلسفية ، فهو أن الكتب العلمية تعلمنا الضبط والدقة ، وتفيدنا المعارف المحدودة التى يشترك فيها جميع الناس ، والكتب الأدبية توسع دائرة العطف والشعور ، وتكشف لنا عن الحياة والجمال ، والكتب الفلسفية تنبه البصيرة وملكة الاستقصاء وتتعدى بالقارئ من المعلوم إلى المجهول ، وتنتقل به من الفروع إلى الأصول .

وكل من هذه الأنواع لازم لتثقيف الإنسان ، وتعريفه جوانب هذا العالم الذى يعيش فيه . وأنا أفضلها على هذا الترتيب : الأدبية ، فالفلسفية ، فالعلمية .

ولا يستطيع القارئ أن يحصر مقدار الفائدة التى يجنيها من كتاب ، فرب كتاب يجتهد فى قراءته كل الاجتهاد ، ثم لا يخرج منه بطائل ، ورب كتاب يتصفحه تصفحًا ، ثم يترك فى نفسه أثرًا عميقًا يظهر فى كل رأى من آرائه ، وكل اتجاه من اتجاهات ذهنه ، فأنت لا تعرف حق المعرفة « الطريقة » التى تضمن الفائدة التامة من قراءة الكتب ، ولكن لعل أفضل ما يشار به – على الإجمال – هو ألا تكره نفسك على القراءة ، وأن تدع الكتاب فى اللحظة التى تشعر فيها بالفتور والاستثقال .

* * *

أما مقياس الكتاب المفيد فإنك تتبينه من كل ما يزيد معرفتك وقوتك على الإدراك والعمل وتذوق الحياة فإذا وجدت ذلك فى كتاب ما ، كان جديرًا بالعناية والتقدير ، فإننا لا نعرف إلا لنعمل أو لنشعر ، أما المعرفة التى لا عمل وراءها ولا شعور فيها فخير منها عدمها . وعلى هذا المقياس تستطيع أن تفرق بين ما يصلح للثقافة والتهذيب وما لا يصلح .

عباس محمود العقاد

توفيق الحكيم



طعام العقل

رجل العلم ورجل الأدب :

من أحب المطالعات إلى نفسى كتب العالم الرياضى « هنرى بوانكاريه »[1] . عندى من مؤلفاته ثلاثة كتب : « العلم والطريقة » و « العلم والفرض » و « قيمة العلم » . قرأتها لأول مرة منذ عشر سنوات ، وأعود إليها من حين إلى حين . إنها تسحرنى كما تسحر الأطفال قصص « ألف ليلة وليلة » . فأنا الآن لا أقرأ كثيرًا كتب الأدب ، ولكنى أحب أن أصغى إلى أولئك الذين يبحثون فى صمت عن الحقيقة ، هؤلاء الذين عندهم ما يقولون ، ولكنّهم يترفعون عن الكلام ، لأن الحقيقة التى يحاولون أن يتصيّدوا شبح خطاها خلف « المكرسكوبات » و « التلسكوبات » أرْوَعَ وأعظم من أن توضع فى ألفاظ وعبارات . على أن ما يعنينى من كلام هؤلاء العلماء ليس الأرقام والمعادلات أى الوسائل ، ولا يعنينى كذلك ما وصلوا إليه من « نتائج » ، ولكن الذى أقرأ من أجله هذه الكتب هو تلك الإشراقات الذهنية التى تلمع من خلال بحوثهم ، فتضىء جانبًا من جوانب الفكر المهجورة .

---

(١) كاتب فرنسى وعالم من علماء الرياضة توفى سنة ١٩١٢

ليس العلم فى ذاته هو الذى يهمّنى ، لكن هى « العقلية العلمية » فى مصادمتها ومواجهتها للأشياء . لا شيء يلذ لى مثل مجالسة « عالم » متسع الأفق ، وهذا النعت لا ألقيه جزافًا ، فإنّ من كبار رجال العلم من هم ضيّقو الأفق ، أى سجناء معادلاتهم وأرقامهم ، يصلون بها مع ذلك إلى نتائج باهرة فى صميم العلم ، ولكنهم قلما ينظرون إلى العالم الخارجى ، وأعمالهم قلما تعنى غير فئة صغيرة من زملائهم العلماء ... إنما الطراز الذى أقصد — هو طراز رجل العلم المطبوع الذى يخرج بعد ذلك لينظر بعين العلم وعقلية العلم إلى الكون بمعناه الواسع ... هى « فلسفة العلم » ما أريد ، لا العلم نفسه .

هنا بعد هذه القراءات يتضح لى أنا « رجل الأدب » كيف أن مخلوقًا آخر يسمى « رجل العلم » ، ينظر إلى الأشياء التى أنظر إليها ، ويفكر فى هذا الكون الذى أفكر فيه ، ولكن بعين أخرى وعقل آخر . ومن يدرى ؟ ... لعل أكثر هؤلاء العلماء الذين ننعتهم باتساع الأفق هم أيضًا لا يلذّ لهم شيء مثل قراءة الآداب ، ومجالسة « رجال الأدب » ، وهو الواقع ، فما الأمر فى باطنه إلا شوقٌ وحب استطلاع بين نوعين مختلفين من هذا الحيوان المفكر .

الحضارة والسيطرة :

هل هناك صلة بين الحضارة والسيطرة ؟ ... هل قيام الحضارة يقتضى ظهور العدوان ؟ ! ... إذا كان التاريخ يطلعنا فى أغلب الأحيان على علاقة بين الحضارة والسيطرة فإن الذنب فى ذلك ليس ذنب الحضارة ،

فالحضارة يصنعها دائمًا رجال من أهل الفكر والمُثُل ، أولئك الذين نسميهم الأنبياء والفلاسفة والعلماء والفنانين والأدباء ، أولئك الذين ينيرون ويكتشفون ويخترعون ويخلقون ، وهم عندما يعملون يوسعون أفق الدنيا ، وينقلون المجتمع من مرحلة إلى مرحلة ، وينفذون بالبصر والبصيرة[1] إلى آماد من أسرار الطبيعة ، ويجعلون الإنسانية أكثر وعيًا ، وأعمق إدراكًا لذاتها ، ولما حولها ، ولما يمكن أن تخطوه وتبلغه فى مستقبلها القريب البعيد ... هذا الوعى عند الإنسانية ، وهذه القدرة على السير نحو الأفضل والأرقى ، تلك هى الحضارة .

إلى هنا لا شىء ينمّ عن روح سيطرة ، أو يدلّ على بادرة عدوان . فالحضارة إذن فى جوهرها سلام وصفاء وجهاد فى سبيل الكشف عن ملكات الإنسانية ، والوصول بها إلى الأرقى والأفضل .

ولكنْ ... إلى جانب صانعى الحضارة وخالقيها – رجال آخرون ... رجال كل همّهم أن يستغلوا مزايا الحضارة ونتائجها ... وهنا مشكلة الإنسانية ، بل مشكلة الحياة كلها .

وجود طائفتين : طائفة تصنع ، وطائفة تستَغِلُّ . والطائفة التى تستغل هى المسئولة عن السيطرة والعدوان ، فى حين أن الطائفة التى تصنع هى التى تمثل الصفاء والسلام .

---

(١) البصر : حاسة النظر أما البصيرة فالحجة والخبرة .

ذلك أن مجرد فكرة الاستغلال توحى بأن ربحًا أو غلة قد انتزعت من شيء موجود من قبل ، لا فضل لمستغلّ فى إيجاده ، وإلا كان صانعًا أو خالقًا أو مكتشفًا أو مخترعًا ... المستغِلُّ يهبط على الشيء الذى أوجده آخر قبله ، فيستخرج منه ، وينتزع الربح والغلة . وكلما استطاع المستغل أن يستخرج أكبر قدر من الربح كان الاستغلال فى قمّته وقوّته ، وكانت أهدافه قد بلغت غايتها . ومهما يكن من أمر الاستغلال ومشروعيته فإنه لا يمكن أن يعيش وينمو إلا فى حدود طبيعته ، وهى استخراج أقصى الربح من جهود غيره . هذا العمل ، حتى فى أعدل مظاهره ، يحمل فى جوفه نوعًا من العدوان ، ونوعًا من السيطرة ، فما دامت طبيعة عملك هى الربح من جهد غيرك ، فأنت ولا شكّ مسيطرٌ على غيرك هذا متعدٍّ على وجوده ، فى أى صورة من الصور ، ولو فى أخفها وأهونها ، حتى على الرغم من محاولة التعويض والأجر .

استغلال الحضارة هو إذن مصدر السيطرة والعدوان ... أما صنع الحضارة نفسها فلا يمكن أن يكون هو المصدر ... ذلك أن صانع الشيء وخالقه لا يعيش على استخراج غلة من جهد غيره ... إنه يعيش على جهده هو ... إنه لا يعتدى على وجود آخر غير وجوده ، إنه يصنع آنية الحضارة بكفيه ، ويستخرج موادها الأولية بيديه . إنه يحتاج إلى السلام ليعمل ويخلق ، وإلى الصفاء ليفكر ويبتكر .

ها هنا مصدر الحرب والسلام إذن ... ها هنا مصدر الحضارة ومصدر دمارها ... ها هنا مهدها ، وها هنا لحدها .

عندما أرمز للمستغل باسم « رجل العمل » ، وأطلق على صانع الحضارة اسم « رجل الفكر » فإن غرضى دائمًا أن أنبّه إلى الخطر على حضارتنا ، وأن أذكّر رجال الفكر بمسئوليتهم تجاه الحضارة التى يصنعونها .

وعندما تقول « التعادلية » إن رجال الفكر يجب أن يكون لهم من القوة الذاتية المعادلة ما يمكنهم من مقاومة رجال العمل – فإن الغرض من ذلك هو المحافظة على جوهر الحضارة من روح السيطرة .

مؤتمر الفكر :

لم نزل مع الأسف نعيش فى عصر يطغى فيه رجال العمل طغيانًا جارفًا على رجال الفكر . فإذا قام رجل عمل سياسى يضلّل الرأى العام فى بلاده ، ويثير ثائرته ليقوده إلى سلب حقوق شعب فقير يلتمس قوت حياته – فإن إرادة مثل هذا الرجل هى التى تنتصر ... أما إذا قام رجل فكر يحاول إضاءة المصابيح ، وعرض الحقائق ، والدفاع عن حرية الإنسان ، وتحذير البشرية من كوارث الحروب فى عصر الذرة – فإن أنوار الفكر تبدو باهتة بين بريق السيوف ، وصوته يخرج واهيًا وسط ضجيج التهويل والتضليل ... إنها المأساة الإنسانية !

لقد قلت فى « التعادلية » : إن الإنسانية لن يكتمل نضجها إلا إذا استطاعت قوة الفكر أن تعادل وتوازن قوة العمل ، أى أن يكون لرجال الفكر من السلطان الذاتى فى عصرهم ما يمكنهم من وقف رجال العمل عند حدهم ، فلا يكون فى طغيانهم تدمير « للبشرية » أو تعويق » لها فى تقدمها وتحررها وتطورها .

يجب ألا يستأثر رجال العمل بمصير الإنسانية .

يجب أن يحسب لرجال الفكر حساب ، وأن يكون لرأيهم فى أحداث الدنيا وزن .

إن اليوم الذى نرى فيه رجال الفكر لهم من القوة الذاتية الموحدة ما يستطيعون به – إذا رأوا رجال العمل يجتمعون فى « مؤتمر لندن » ليتخذوا قرارًا ضد حرية الإنسان أو الشعوب – أن يجتمعوا هم أيضًا فى مؤتمر فكرى فى « جنيف » أو « الإسكندرية » ليتخذوا قرارًا يصون كرامة البشرية ، ويكون له قوة الإلزام ... مثل هذا اليوم إذا جاء سيكون هو يوم النضج الفعلى للإنسانية .

يجب أن نفكر منذ الآن ، ونسعى إلى تكوين رابطة ووحدة بين رجال الفكر فى العالم ، فى الاتجاه والوسائل والمثل ، كما أن بين رجال العمل فى شئون المال والسياسة تلك الروابط الدولية العلنية والخفية .

إن رجال الفكر هم حراس القيم الإنسانية ، وهم المسئولون الحقيقيون عن تطور البشرية ورقيّها الحقيقى ، فى حين أن رجال العمل فى المال والسياسة يتّجهون فى أغلب الأحيان إلى خدمة مطامع شخصية ، قد تصدم القيم ، وتعرقِلُ الرُّقى الإنسانى .

بأى حق تحتكر تلك الأيدى غير الأمينة دائمًا اللعب بمصير الدنيا ؟ ... وبأى حق تُنَحّى عن تقرير مصير الدنيا العقول التى تنشر النور والحرية والتقدم ؟ ! ... ولماذا وإلى أى حدّ نجد قرارات مؤتمرات رجال العمل فى المال والسياسة والحروب لها قوة التنفيذ ؟ ! ...

إذا قالوا الحرب والفناء – كانت الحرب ، وكان الفناء ؛ وإذا قالوا السيطرة على الضعفاء وقع الضعفاء في ذُلِّ السيطرة ... في حين أن قرارات رجال الفكر ليس لها مع الأسف حتى الآن وزن معادل ، أو حتى وزن فعّال على الإطلاق !

هنا كل رجائي في الغد أن يكون رجال الفكر قوة معادلة وموازنة لقوة رجال العمل ، بها يستطيعون أن يَحُولُوا دون أي عمل يتخذ منافيا لروح الحرية البشرية .

كل أملي في المستقبل أن يتلاشى طغيان رجال العمل هؤلاء ، هذا الطغيان الذي يبتلع في جوفه رجال الفكر ابتلاعًا ، وأن تكون هناك قوة فكرية معادلة تَحُول دون هذا الابتلاع .

في مثل هذا الغد – وأرجو أن يكون قريبًا – سيكون لرجال الفكر من القوة الذاتية ما يمكنهم من إنقاذ البشرية دائمًا ، والسير بها قدمًا إلى أرقى .

نكون أولا نكون :

قال سياسي معاصر في أوربا تبريرًا لاستعداده الحربي : إنه سيحارب دفاعًا عن مستوى معيشته المهدَّدِ بالانخفاض ... هذا القول لسان حال كل رجل يستمتع في الغرب بثمرات الحضارة . إنهم يَهُبُّون هناك للحرب ، كلما رأوا – أو خيل لهم الوهم أنهم يرون – أن حياتهم ستكون خلوًا من طبق جيد من اللحم يوضع على المائدة ، ومن كتاب جيد يقرأ بهدوء

إلى جانب المدفأة ، ومن ساعات ممتعة تقضى فى دار أوبرا ، أو قاعة موسيقى ، أو مسرح تمثيل .

هذا الحرص على ثمرات الحضارة يبذلون فى سبيله دماءهم ودماء أبنائهم بلا ترددٍ .

أما نحن فعندما ننهض قليلاً لنطلب نصيبًا متواضعًا من الحضارة ، نحن الذين عشنا طويلا ولم نزل نعيش فى الفقر والحرمان ، ولا تعرف غالبيتنا الحفاة العراة طعم اللحم إلا فى بعض المواسم ، ولا تستطيع ميزانيتنا أن تستقطع من مال الشعب الجائع ما تشيد به دار تمثيل واحدة معدة إعدادًا حديثًا لعرض فنّ جيد ، نحن الذين نكدّ بحثًا عن موارد تزيد من ثروتنا القومية الزيادة التى تتيح لنا قدرًا من الحضارة التى نحلم بها ... نحن الذين طرقنا كل باب نلتمس المعونة لنجدّد حياتنا ، ونقيمها على أسس عصرية من الإنتاج والفكر والفن ، نحن الذين استيقظنا ودبّ فينا الوعى ، ولمحنا عتبة الحياة الجديدة التى تنتظرنا فهممنا نخطو إليها مستبشرين ، وفجأة نجد من يقف فى وجوهنا ويقول : مكانكم .. ! إن الحضارة ليست من نصيبكم ، لأنكم لا تستطيعون دفع تكاليفها ! .. نحن الذين نسمع كل هذا ونراه ، أفليس من الواجب علينا أن نقول للدنيا : سندفع تكاليف الحضارة ولو من دمنا ! نعم ، ولو من دمنا ! إذا كانوا هم هناك فى الغرب يبذلون دماء أبنائهم بشجاعة حتى لا ينخفض مستوى استمتاعهم بالحضارة ، فهل نفقد نحن حتى الشجاعة فى الدفاع عن حق صغير فى نصيب بسيط من هذه الحضارة ؟ !

أنا لست من دعاة الحرب ، ولا من المحبين للعنف ، وإن السلام هو رجائى ، والصفاء هو أمنيتى ... ولكن إذا حال أحد بيننا وبين حظنا من الحضارة فلا خير فينا إذا تخاذلنا ، ولا قيمة لحياتنا إذا فقدنا الأمل فى حياة أفضل ... إن الحياة كالبهائم والأنعام خير منها العدم . ها هنا موطن شجاعتهم فى الغرب ! إنهم يلقون بحياتهم رخيصة كلما خافوا عليها من الانحطاط إلى مستوى لا يرضونه .

نحن أيضًا لن نقل عنهم شجاعة ! لن يكون لحياتنا الفارغة أو التافهة ثمن عندنا ... سنجعل منها حطبًا نحرق فيه كل من يقف فى سبيل آمالنا فى التقدم .

إن المسألة لدينا أصبحت تتلخص فى هذه العبارة : نكون أولا نكون ! ..

لم تعد الحال بعد ما صرنا إليه من يقظة ووعى تحتمل مكانًا وسطًا بين الوجود والعدم . إما أن نوجد وجودًا حضاريًّا وإما أن نباد إبادة . هذا فيما أعتقد شعورنا اليوم جميعًا ، وهو شعور مشرف ، لأنه شعور كل الأمم عندما تنضج للحضارة ...

نكون أولا نكون !!

عندما تضع أمة المسألة هذا الوضع فإن قوتها ستكون هائلة ، لأنها إنما تضع حياتها كلها ثمنًا لتوجد ، أو تولد من جديد . وهذا الثمن إذا دفع بشجاعة وإخلاص فإنه قَلَّمَا يُنْفَقُ هباء !

الإنسان والكون :

انطلاق الكوكب الصناعى أصابنى بهزة ، هزة فرح وخوف فى عين الوقت : فرح لانتصار الإنسان ، وخوف من أن يفقد ما ظفر به . شعورى هو شعور السجين ، وقد نجح فى الانطلاق من سجنه ... إنه فرح وخائف فى عين الوقت : فرح بالنجاح والخلاص ، وخائف من أن تجذبه يد من الخلف فتردّه إلى ما كان فيه من حبس وظلام . وفكرة الإنسان المقيم فى كهف مظلم ، أو المتحرك فى سجن يدور – فكرة لازمتنى من ثلاثين عامًا فيما كتبت من مسرحيات ، فكان الإنسان عندى مناضلا دائمًا للخروج من كهفه ، أو سجنه ، فتردّه قوى معاكسة لابد له من كفاحها . ولم أكن أتصور كيف يمكن التغلّب على تلك القوى المعاكسة ، ولكنى لم أسمح للإنسان يومًا باليأس من نتيجة كفاحه ، فقد كانت نهايات مسرحياتى تدل دائمًا على أن المعركة لم تنته بعد ، وأن الإنسان فيها لم يسلم قط بالهزيمة النهائية ، ولكنه يدرك تمام الإدراك خطر القوى التى تقوم فى طريقه ، وهى قوى هائلة ، مخيفة ، من قوانين وعوائد وتقاليد وغرائز ، كلها تشدّه إليها وتجذبه كما تجذب الأرض الأجسام التى تريد الانطلاق .

لذلك كانت فرحتى كبيرة عندما رأيت جسمًا من الأجسام نجح أخيرًا فى التغلب على جاذبية الأرض وانطلق إلى الفضاء الواسع .

ولم يقف الأمر عند حدّ الفرحة الكبيرة ، بل تعداه إلى الأمل الكبير .

إن العقل الإنسانى الذى استطاع التغلب على جاذبية الأرض لابد أنه يستطيع أيضًا التغلب على جاذبية الأرض الأخرى التى فى أعماق نفوسنا ... وتلك هى مهمة رجال الأدب .

لقد نجح رجال العلم فى الوصول إلى نوع من التحكم فى توجيه بعض قوى الطبيعة ، فهل ينجح رجال الأدب فى الوصول بالإنسان إلى درجة من الوعى والنضج والحكمة يستطيع فيها أن يتحكم فى توجيه قوى نفسه ؟ ...

إن استمرار نجاح العلم يزيد – ولا شك – أملنا فى نجاح الأدب أيضًا .

ولكن كيف يمكن العلم أن يستمر فى نجاحه دون أن يستمر السلام على الأرض ؟

إن استمرار السلام هو الشرط اللازم لتحرير الإنسان من كهفه المظلم ، وسجنه الدائر . فاندلاع الحروب ، وانفجار الغرائز الشريرة هى التى تدمر العقل البشرى ، وترده من جديد إلى حبسه وظلامه .

منذ آلاف السنين أنشأ الإنسان « الهرم » ، ذلك البناء الهندسى العجيب ، كما عرف أسرار الكيمياء التى تحفظ الأجسام بالتحنيط ؛ وتترك الصور على حيطان المعابد فى ألوان ثابتة ناضرة رائعة ، لا ينال منها مرّ الزمن ، ولا تغيرات الجو – كل ذلك منذ آلاف السنين قبل أن يولد المسيح ، ممّا يدلّ على أن العلم الإنسانى كان قد بلغ مرتبة جديرة بالعجب والإعجاب . ولكن ماذا جرى بعد ذلك ؟ ماذا جرى لهذا العلم

الإنسانى ؟ ... التاريخ يقول لنا : إن الحروب والغزوات اجتاحت البلاد ، ودمّرت تقدمها ، فوقف العلم عن السّير وا أسفاه ! ... لو أن ذلك العلم استمر فى سيره منذ تلك الآلاف من السنين ولم تدمره الحروب – لكانت البشرية اليوم قد وصلت إلى مرتبة لا تخطر لنا على بال .

لذلك كان مصير العلم والمعرفة الإنسانية معلقًا على استمـرار السلام فى الأرض !

وإذا كان هناك حراس للسلام مسئولون عن استمراره فهم فى نظرى الأدباء ، فإن أقلامهم هى السياج الذى يجب أن يحمى حديقة السلام الأرضى !

إذا نجح الأدباء فى حفظ السلام فإنهم بذلك يكونون قد استطاعوا فى نفس الوقت التحكم فى الغرائز البشرية المدمرة .

ولكن السؤال المهم هو : كيف يستطيع الأدباء ذلك ؟ ... بل قبل إلقاء هذا السؤال يجب النظر فى مسألة أخرى لابد من عرضها ، ونحن فى صدد الخروج من جاذبية الأرض .

إن نجاح الكوكب الصناعى فى الانطلاق إلى الفضاء الخارجى قـد أطلق معه خيال الناس ، فأصبحوا يتوقّعون قرب مجىء اليوم الذى يسافر فيه الإنسان إلى الكواكب الأخرى ، وإن الكلام يكثر فى هذه الأيام عن الملابس الواجب ارتداؤها هناك ، وعن الهواء الواجب توفيره لتنفس الإنسان ، والضغط الجوى الواجب إعداده ، وغير ذلك من الوسائل التى تكفل للإنسان استمرار حياته خارج كوكبه الأرضى .

كل هذا ممكن . وكل هذا وأكثر منه سوف ينجح رجال العلم فى تحقيقه بدون شك . وسوف يخرج الإنسان إلى كواكب أخرى .

ولكن ... ما تأثير ذلك على طبيعته ؟ على نفسه ؟ على روحه ؟ ...

هل يظل الإنسان إنسانًا بالمعنى الذى كان عليه وهو ساكن الأرض ، ... أو أن الإنسانية صفة أرضية قد تتغير بتَغيُّر الكوكب ؟

وإذا كان لابد للإنسان – بعد أن تمكّن من غزو الفضاء ، ووصل إلى كواكب أخرى – من أن يتغير هو نفسه قليلاً ، وأن يصبح شيئًا أكثر من إنسان ، أو على الأقل كائنًا يختلف بعض الاختلاف وذلك الإنسان الذى عاش فوق كوكب الأرض – إذا صحّ ذلك ، وأصبح الإنسان هذا الشىء المخالف للإنسان – فهل هذه النتيجة محبوبة أو مكروهة ؟ ... هل تريد الإنسانية أن تحتفظ بإنسانيتها فى أى مكان فى الكون ، أو أنها لا ترى بأسًا فى أن تخلعها وتصبح شيئًا آخر ؟

فى مسرحيتى « شهر زاد » أراد الإنسان أن يخلع عنه إنسانيته بما فيها من غرائز وحدود ، وأن ينطلق مرتفعًا ، ولكن القوة الدافعة لم تكن كافية فظلّ معلقًا بين الأرض والسماء ، وأصبح بذلك إنسانًا محطمًا غير صالح للحياة . وكان لابد له لكى يعيش مرة أخرى أن يعود إلى أرضه ، وإلا فهو ضائع فى الفضاء !

أغلب ظنى أن الإنسان لا يريد أن يفقد إنسانيته وهو يرتفع إلى الأعلى ، لأنه بغيرها يفقد كل شىء وما من إنسان يريد أن يصبح شيئًا غير نفسه .

إن قوة الإنسان هى فى وعيه لضعفه ، وكفاحه فى سبيل التغلب على هذا الضعف . تلك هى قوته الدافعة ، وسرّ حركته الدائبة ، فهو ليس بالإله الكامل المكتمل الجالس فى سكون فوق قمة « أولمب » !

إن الإنسان الإله أو المتأله المتدثر فى غروره لن يلبث أن ينهار كتمثال قديم ! ذلك أنه فقد أهم صفة فى الإنسان ، وهى الكفاح ضد الضعف . فالآلهة لا وعى عندهم بضعف ، وهم بذلك لا يكافحون ، وهنا امتياز الإنسان ... إنه دائمًا يكافح ... إنه ينتصر ويهزم ... وهزائمه أكثر من انتصاراته ، ولكنه يكافح دائمًا ، لأنه يكتشف دائمًا مواضع ضعف تقتضى منه التحرك لحريتها .

إذن ... سيظل الإنسان فى رأيى إنسانًا مهما ينطلق إلى الكواكب ، ... لن يكون الإنسان إلهًا ، ولن يقبل ، لأنه بذلك يفقد أشياء كثيرة ، وأول ما يفقد لذة الحياة نفسها ، لذة الحركة والتطور والكفاح والانتصار على ضعفه الإنسانى .

الإنسانية إذن لن تقبل تغيير صفتها ، لأنها لن تشعر بانتصارها إلا وهى محتفظة بشخصيتها ، واعية لذاتها ، وهى إنما تغزو الكواكب باسم الإنسانية الأرضية لا باسم آخر ، ولا بصفة أخرى .

ما دامت إنسانيتنا لنا دائمًا بقوتها وضعفها ، سواء على الأرض أو خارجها ، وما دمنا نحرص على هذه الإنسانية ، لأنها هى كل وجودنا فى الأرض ، وبغيرها لا نوجد نحن على الإطلاق – إذن فالجوهر الحقيقى للأدب لن يتغير كثيرًا ، وعمل الأدباء سيكون دائمًا متصلاً – كما كان

ويكون دائمًا – بهذه الإنسانية . كل ما يجب أن يحدث من تغيير هو في قوة الطاقة المطلوبة لإحداث الأثر الفعّال في الغرائز البشرية حتى لا تفلت منها عناصر مدمرة .

إذا استطاع الأدباء التحكم في الغرائز البشرية المدمرة ، كما استطاع العلماء التحكم في الطاقة الذرية الخطيرة ، وتمكنوا من توجيهها في الطريق المفيد للجنس البشرى – إذا استطاع الأدباء ذلك فإنهم ولا شك يكونون قد قاموا بواجبهم ، كما تمليه عليهم مسئولياتهم في هذا العصر الجديد .

هل يكون للتقدم الهائل الذى وصل إليه الإنسان فى « التكتيك » العلمى أثره في تقدم أو تغير « التكتيك » الأدبى ؟ وهل ستبقى الأنواع الحاضرة في الشعر والقصص والمسرحية ، أو أن بعضها سيختفى ، أو يتخذ زيًّا آخر ؟ ...

ما من شك أن تغييرًا سيحدث ليلائم التغيير الذى سيحدث فى الحياة الإنسانية كلها . ولقد سبق لحياتنا أن تغيرت بعد ظهور السيارة والطيارة ، فتبع ذلك تغير فى أسلوب الأدب ، فلم تعد البلاغة بلاغة ألفاظ رصينة بطيئة ، كما كانت فى عصر العربة والجياد ، بل ظهرت بلاغة أخرى قوامها بريق الأفكار المتلاحقة ، مع سرعة الصور المتتابعة . وأدى تلاحق الأفكار ، وتتابع الصور إلى ظهور أدوات جديدة غير القلم ، تعتمد على البصريات والسمعيات ، لتقوم بمهمة التعبير عن حركة ذلك العصر السريع ، وأصبح الأدباء منذ فاتحة ذلك العصر يتخذون من أدوات التعبير

القلم ، وميكروفون الإذاعة والتلفزيون ، والسينما إلخ ... ولكننا اليوم مقبلون على عصر جديد . أصبحت فيه سرعة السيارة والطيارة شيئًا يتعلق بالماضى ، فالسرعة التى صنعناها اليوم بإطلاق الكوكب الصناعى ، سرعة مدهشة مذهلة ، لا ندرى بعد على أى وجه ستؤثر فى مجرى حياتنا الحاضرة ... ولكن الذى يمكن أن نعرفه هو أن حياتنا الحاضرة إذا تغير أسلوبها فلابد أن يتغير تبعًا لذلك أسلوب التعبير عنها ! ... ولكن الأدب أحيانًا يمهد للحياة الجديدة كما يمهد لها العلم . فالأدباء أسرع إحساسًا بما يجرى حولهم ، وأقوى شمًّا لرائحة المستقبل ، لذلك لا أستبعد أن تظهر من الآن المحاولات الأولى لأدب جديد يقوم على أساس من الشكل والمضمون يلائم وضع الإنسان فى عصره الجديد : عصر الكون .

الفكر أساس القوة :

يذكرون أن كاتبًا شرقيًّا هو « أمين الريحانى » راعه افتقار بلاده إلى ما عند الغرب من أسباب القوة فقال : « أنا الشرق عندى فلسفات فمن يبيعنى بها طائرات » ؟ !

هذه الكلمة أعارضها ، لأن الشرق ليس عنده الآن فلسفات . والشرق يوم كانت عنده الفلسفات كانت عنده أيضًا كل ضروب القوة المعروفة فى تلك العهود ، بل إن الفلسفات يوم كانت فى أرضه : فكر فى اختراع الطائرات : « عباس بن فرناس » ، وإن هذه الفلسفات يوم انتقلت إلى الغرب انتقلت معها بذرة روح الاختراع التى أنبتت الطائرات .

إن دماغ المهندس الذى يصنع الطائرة والغواصة والدبابة دماغ قد كونته الفلسفات والآداب والفنون ، وزوّدته بملكات التفكير والتصور والخيال . أما الذين يظنون أن هذه المخترعات تظهر كالنبات البرّى فى الأمم دون أن تسقيها نهضات فكرية فى مختلف الفنون - فأولئك هم الواهمون ! .

إن الفكر هو أساس القوة ، وإن الأمم التى تتباهى اليوم بالقوة المادية وحدها إنما قامت فيها هذه القوة نفسها على دعائم الفكر والمفكرين من أمثال « أفلاطون » و « نيوتن » و « جوته » و « شيلر » .

فإلى الذين بهرتهم القوة الوحشية فى سلطانها الحاضر ، فأنكروا سريعًا عناصر الحضارة الحقيقية ، وازدروا الأمم التى تفنى فى تجميل الحياة بالفنون والآداب - أسوق هذه الكلمة وأصيح :

« تكلمى دائمًا يا آلهة الفكر والشعر ، فإن سلطانك هو الباقى ، فمن كلمات فيك يصنع جوهر الحضارات ، وما دمت أنت فى الوجود . فإن الحياة تستحق الحياة ، والإنسان يستحق أن يسمى إنسانًا !

يحيى حقي



اعترافات لا تقال إلا لصديق

كنت فى مطلع شبابى وأنا أحاول كتابة القصة القصيرة لا أتناول مجلة انجليزية إلا وجدت فيها إعلانا يشغل صفحة كاملة ، على رأسها إلى اليسار صورة رجل بشوش صارم معا ، تشير ذراعه الممدودة – وإن لم يركب جوادا – بإصبع إبراهيم باشا فى ميدان الأوبرا إلى عنوان مكتوب بأحرف غلاظ مصطفة كالمتاريس : « لماذا لا تصبح أنت أيضًا كاتبًا قصصيا ؟ » وينتهى العنوان بعلامة استفهام لها شكل بريمة زجاجة تنخر فى الذهن لا فى الفلة المحشورة ، وتحت العنوان سطر آخر بأحرف أدق وإن تكن أشد سوادا : « تعلم كتابة القصة وزد من دخلك ! » وينتهى السطر بعلامة تعجب كأنها جندى فى طابور تمرين حين يصرخ فجأة الجاويش المعلم أبو شوارب « قف » ، فالنقطة التى تحت العلامة هى خبطة القدم على الأرض ، ثم يأتى بعد ذلك بأحرف منمنمة كلام حلو من فم هذا الرجل الصارم البشوش ، إنه لا ينتظر إلا إشارتك « وشيكا » بمبلغ ثلاثين شلنا دفعة أولى حتى يرسل إليك ، أيا كان عمرك أو جنسك أو ملتك أو مكانك فى الأرض ، وبالبريد المسجل أول درس فى كتابة القصة ..

وفى أسفل الصفحة إلى اليمين – كما يقتضى التنسيق فى فن الإعلان – صورة أخرى صغيرة هذه المرة . فالناس مقامات وشتان بين القطب

والمريد – هى لشاب عيونه مفنجلة ، يقول عنه أبو إصبع أمامه لا من وراء ظهره ، إنه كان مخلوقًا مضيَّعًا فى الحياة ، مغمورا لا يحس به أحد ، يعمل صبيا فى دكان بقال ، وقاده حسن طالع لا يرزقه إلا من كان له بصر وإرادة وهمة إلى الرد على الإعلان وإرسال الشيك فانقلبت حياته رأسا على عقب ، وأصبح فى فترة وجيزة يكسب كل شهر خمسين جنيها من تأليف القصص ، ولكن الأستاذ لا يذكر لك أين ومتى نُشرت هذه القصص . وصورة التلميذ تتغير عددا بعد عدد ، هى تارة لفتاة تبتسم ، وتارة لشيخ مغضن الجبين ، هل بعد هذا دلالة على نجاح المدرسة ؟

* * *

وكنت حينئذ شغوفا بالقراءة لا يشبع لى نهم حتى أتلفت بصرى ، أقلى أغلب المجلات ولكنى مع الأسف لم أعثر رغم طول البحث وشدة الشوق على اسم ولو لواحد فقط من هؤلاء الكتاب الكبار خريجى تلك المدرسة ، والعجيب أن أهم سبب جعلنى أشم رائحة المشمش فى هذا الإعلان لم تكن مبالغته وزرعه « لو » فى أرض « ليت » بل هو الطريقة التى طبعت بها صورة الأستاذ كالشأن بالمجلات والصحف فى ذلك العهد ، فهى تخدع النظرة الأولى بأنها صورة من فعل قلم ولكنك إذا تأملتها وجدتها مرسومة لا بخطوط ولون متصل بل هى مؤلفة من نقط سود منفصلة متلاصقة عديدة كبرادة الحديد ، ورغم تلاصقها فقد بقى البياض المخنوق يتنفس من تحتها ، إذ خيل إلى منها أن القصور العلالى فى ..اغ هذا الأستاذ مبنيه هى الأحرى من قوالب مقصمله مرسوسه

بدون « مونة » وأنني لو لقيته وجها لوجه وصافحته سأجد شخصه المهيب يتفتت من اللمسة وحدها ويخر على الأرض كوما من الرمال .

ومع ذلك اعترف لك أنني هممت مرارا أن ألتحق بهذه المدرسة ، فقد كان للإعلان سحر شديد لنفسي ، أكاد من صورة الأستاذ ونظراته وكلامه أنام نوما مغناطيسيًا ، ولم يمنعني عنها إلا أنني كنت أغلب الوقت لا أحتكم على ثلاثين شلنا دفعة أولى ، وحتى لو كنت أملك مائة وخمسين قرشًا لعجزت عن تحويلها بشيك في بنك ، فأنا من أشد الناس كرها للطوابير ، وأضيعهم وأضيقهم صدرا أمام نوافذ تحجب الصوت لا البصر ، لها فتحات مستديرة في حجم غويشة من الزجاج لا تتسع إلا لمد يد متلصصة كيد النشال ، أو مستجدية كيد الشحاذ ، أو شرهة خطافة كمخلب حدأة ، وكنت أعيش حينئذ في دمنهور فما عرفت رغم امتداد إقامتي فيها هل فيها بنك أم لا ، وإذا كان بها بنك أين موقعه .

نعم ، كنت أهم بدخول هذه المدرسة رغم العوائق ، لا حبا في كسب خمسين جنيها في الشهر . لا تظنني أمعر عليك وأتصنع العفاف والقناعة ، فأنا أعرف أن القناعة عندك من مرادفات الخيابة ، وإنما أقول لك الحق كل الحق ولا شيء غير الحق ، ولك أن تصدقني أو لا تصدقني : لم يكن مطابي ومناي إلا أن أجد من يأخذ بيدي ويفتح بصيرتي حتى أهتدي وأنا وحيد أضرب في بيداء أحس بجمالها المذهل واتساعها المخيف وسرابها الخادع وتحبطني بلا بوصلة وليس لي نصيب من علم النجوم ، والرياح الهوج تناوشني وتنازعني ملابسي ولحمي وروحي .

وكنت أطوى المجلة على الإعلان وأبقيه مدفونا كبقية أسرارى ومع ذلك ظل يلاحقنى ليالى عديدة . سميرى هو الأرق لأنى أعذب نفسى قبل النوم بسؤال عجيب عن « لو فتحت مدرسة مماثلة فماذا كنت تقول فى دروسك ؟ » . اضحك ما شئت من التلميذ الخائب الذى يريد أن يقفز فى غيبة الأستاذ إلى مقعده ، ولكن لم يكن الأمر كذلك ، إنما كان هذا السؤال أول همس من نفسى يفتح لى باب قصة أحببت كتابتها تدور حول حياة رجل كصاحبنا ، أصف فيها ما يلقاه من مفارقات فى إجابات تلاميذه وأقيم منهم مظاهرة كبيرة أمام داره تطالبه برد المصروفات لأن المدرسة أونطة : واجعله يكتب دروسه ويرسل باسم مستعار قصصًا يؤلفها طبقا لمنهجه إلى جميع المجلات فتعيدها إليه باعتذار رفيق وتنصحه بأن يقرأ الإعلان المنشور فى صفحة كذا بمجلة كذا ، فيسارع إلى المجلة المذكورة ويفتحها على الصفحة المطلوبة فإذا به يجد إعلانا من مدرسته هو ... ولكنى لم أكتب هذه القصة إلى اليوم ، وضاعت كآلاف الأصوات الهامسة التى لاحقتنى ولم ترق إلى درجة الإفصاح .

وهنا يخيل إلىّ أنك ستهجم علىّ بسؤال أعجب هو « الآن وقد بلغت بداية نهاية عمرك ووجعت دماغنا هل تستطيع الإجابة على سؤالك السابق الذى كان يؤرقك ؟ » .

دعنى أحك رأسى قليلا قبل أن أحاول إجابتك إلى طلبك ، جبرا بخاطرك وإعفاء لك من كسوفك ، ثم أقول لك إننى لو فتحت الآن مثل هذه المدرسة لجعلت الإعلان ترجمة حرفية للنص الانجليزى -- من

قبيل الاقتباس ! فقد ثبت نجاحه وليس أهلنا عقدة من العقد حتى يخيب فيهم أثره ، أما رأس الإعلان فلن أجعله صورة أستاذنا القديم مع اعترافى بمكانته فإنها لن تنطلى على أهل بلدنا وسيدركون من أول نظرة إنه إنجليزى أزرق الناب ، وإنما سأذهب إلى قلم السوابق وأفتش فى البومات كبار النصابين عن صورة تترجم إلى العربية سحنة الأستاذ الإنجليزى فأنا واثق أن سحرها المزدوج لن يقاوم ، أما عن صور التلاميذ فسأحاول أن أشترى بالأقة دشت الأبونيهات المستهلكة من شركات الترام والأتوبيس . وإذا وقع الفاس فى الراس وجاءت ساعة الجد وجلست فى خلوة أكتب المنهج فسأختصره كله فى درس فرد ، والدرس اليتيم فى جملة واحدة صغيرة هى من ثلاث كلمات عند عامة الناس بل من كلمتين إن أردت أن ترسل بها برقية ، هذه الجملة هى « خليك بنى آدم » .

فإذا جاءنى تلميذ يقول لى إننى ضحكت على ذقنه ، وأنه ليس فى حاجة إلى مدرستى لسماع هذه النصيحة ، وأنه ليس مغفلا حتى يدفع ثمنا لها ، فإنه يجدها أكثر من مرة مطبوعة على ورق شفاف يغلف قطعة من الشيكولاته أم بخت ، وأنه لو أراد لمضغها وبلعها أيضا لتستقر فى جوفه وتسرى فى دمه وينجح مفعولها الأكيد كما كانوا يأكلون قلب الأسد طلبا للشجاعة ، إذا جاءنى تلميذ بمثل هذا الكلام فسأقول له من فورى :

« يا جاهل ! ألا تعلم أن أعقل العقلاء هو من يبيع للناس حكما سقطت من جيوب الأجيال السابقة وبقيت مُلقاة فى عرض الطريق عارية

سافرة تدوسها الناس بالأقدام في غفلتهم ؟ إن مدرستي ليست مفتوحة للغشم الخَيب الوقحاء الجهّال أمثالك ، ها هو ذا أول قسط أعيده إليك وأرني عرض أكتافك . أنت مرفوت لفرط الغباء وقلّة الذوق وسوء الأدب وإذا لم تنصرف فسأنادى بوليس النجدة . طبعا أقول له هذا التهديد تهويشا لأنني أحرص كل الحرص على أن لا يعرف رائحتى لا البوليس ولا الدبان الأزرق » .

أما التلميذ الناصح الواعي الذى يصيح كتكوته من البيضة فسيدرك بلا عناء أنه تلقى منهجًا كاملاً ويظل مواظبا على دفع الأقساط الباقية في مواعيدها سيتأمل الكلمات الثلاث ويعلم أننى ألقى عليه عبئًا ثقيلاً وأطالبه بشيء عسير جسيم ، إنه امتحان لا ينجح فيه الكثيرون فأنا أريد منه أن ينتفع أتم انتفاع بكل ما وهبه الله لبنى آدم ، من بصر وسمع وشم وذوق ولمس ، ومن عقل كالجوهرة ، وروح هيهات أن تفنى إذا بلى الجسد ، فلا تكون مقلته مرآة صدئة بكماء ، الصورة التى تسقط عليها كأنما تتعثر بها ولا تجد من يلقطها ، وتبقى لزجة أو باهتة أو مشلولة ، بل يترك عينه التى خلقها الله له تعمل عملها على سجيتها إنها عدسة سحرية مستوية لا محدّبة ولا مقعرة شأن مرايا حدائق الملاهى .

هذه الكرة الضئيلة الرجراجة التى تفقؤها إصبع طفل قادرة على أن تمده بضوء لا يقل من ضوء المصابيح الكشافة للطائرات أو أشعة إكس ، سيرى بفضلها الأشياء رؤيتين : الأولى وهى منفصلة كأن ليس في الوجود أحد غيرها ، والثانية وهى مرتبطة بملايين روابط القربى والنسب لكل

ما يحتويه هذا الكون من حىّ وجماد ، وسيراها ثانية على طريقة أخرى مرتين : مرة وهى مخلوقة وليس الزمن من عناصرها ، فتنطق له بالسر الذى أودعه الله فيها ،ومرة وهى أسيرة فريدة فى يد الزمن ، قد لصق بها عديد من الظلال العابرة تحجرّت فى تفسير لفظى لها فى قاموس ، فإذا جاءته الصورة بعد ذلك منبعجة أو مقعرّة وجدت عنده مع ذلك استواءها بفضل هذه النظرة الشاملة ، حينئذ لن يجد بين نقوده درهما دميما يناوله أو يتناوله ، وسيستوى فهمه شيئا فشيئا حتى إذا بلغ درجة الصلح والتسامح نَضج .

وكما يفعل بعينه يفعل بأذنه ولسانه وأنفه وكهرباء جلده ، ثم يصون عقله عن السموم ويفتح جميع نوافذ روحه ، ولو دخلتها الزعابيب والأعاصير ، سيعلم التلميذ الناجح أن مدرستى تُعنى بالفنان كإنسان قبل أن تعنى بما يكتبه .

* * *

يرجع مرجوعنا إلى سيرة المدرسة الإنجليزية التى سحرتنى فى مطلع شبابى فأعترف لك أننى تجنّبت هذه المدرسة تجنب السليم للأجرب ، كما تجنّبت فيما بعد – بالسليقة لا بنصح من أحد – جميع المؤلفات التى تعالج صنعة القصة وترسم لها الحدود والأهداف وتضع القواعد والشروط وتستخدم مصطلحات كثيرة كأننا فى هيكل ماسونى ، صوت هامس داخلى يستعطفنى : « أرجوك أن تتركنى فى حالى ، أنا خائفة من هذه الحكمة كلها أن تفسد علىّ أخلاقى وأحلامى وطريقة لعبى » فأقول لها :

« وتفضح جهلك وإفلاسك ؟ » فتجيب : « لو شرحت للبهلوان وهو فوق الجبل نظرية التوازن لسقط على الأرض واندقت عنقه » .

وأحمد الله أنه ألهمنى فى سن مبكرة أن الفن فوق ووراءه جميع الآراء والنظريات ، وأنه خارج عن جميع التعاريف المانعة الجامعة ، وأنه لا يعرف وصولا إلى نهاية ، وأن لا فن بلا صنعة ، ولكن الصنعة فى الفن هى أيضا فن ، وأن قشور الصنعة قد تنال بالتعليم أما روحها فهى روح الفنان ذاته ، وأن المسألة كلها هى هل أنت غنى أم فقير .

شبهت كل المؤلفات التى تعلم صنعة القصة بتلك الآلة اللامعة بالورنيش التى تشتريها لتعرف بها فى حجرة نومك لذّة التجديف ونفعه ، ليست جرادة كبيرة من خشب وحديد ، بل هى قارب من صلب ، قارب به مجدافان عفيان ومقعد صغير يتحرك . فماذا ينقصك ؟ اجلس داخله وازحف بالمقعد إلى الأمام إلى أن تقرفص وتزغزغ ركبتاك بطنك ، ثم تمدّد به إلى الوراء حتى تكاد تستلقى على قفاك وإن لم تضحك ، ثم ادفع المجدافين عكس طريقك وأنت حرّ ، فإما إلى النافذة المفتوحة (فقد أوصوك بالهواء الطلق) ومنها إلى الطريق من رابع دور ، وإما إلى الحمام مارّا تحت منضدة الأكل كأنها كوبرى ، وإذا ضربت معك لخمة فارجع إلى سلسلة الصور فى الكتيِّب الأنيق الذى دسّه البائع فى يدك كأنه وَصْفة تُعالج كل الأمراض يُحاط سرّها بالكتمان إلا للأعزّاء ، ستتمشى فى عضلاتك كل حركة التجديف ، وقد لا يختلف خطوك بعد التمرين إلى الحمام والفوطة حول رقبتك ، وظهرك محنى ، وذراعاك مقوستان

ورجلاك معصعصتان عن جرى أعضاء النادى من القارب للدوش ، فماذا تريد فوق كل ذلك ؟

ولكنك مع الأسف لو وضعت هذا القارب فى الماء لا على البلاط لغرق من فوره ، أين أنت – ولا مؤاخذه – من راكب النهر ، أسلم نفسه للكون ، انهدمت بينهما الحواجز ، النسيم الرفيق المداعب يجلو صدأه ، والماء يقرع الخشب يحدّثه بلكنته ، وهل ينطق من فى فيه ماء ؟ – والشاطئ يتبختر أمامه ويفتح له صدره ؛ والسماء تبصره بود وتتجاهله بود ، والألوان والخطوط تنطق له ، وهذا الصمت العميق الذى يتسرب إلى روحه رغم الآلاف من أصوات الأحياء والجماد بعيدًا حواليه .

* * *

لم أقرأ هذه المؤلفات فى صنعة القصة وفضلت أن أتعلم – كما يقال – من منازلهم ، بالمعاناة والتجربة وتأمل آثار كبار الكتاب ، هم أساتذتى وأئمتى وأحبابى .

د . حسين فوزى



القراءة فن

تصور أن يدلى إليك أصدقاء برغبة أن تكتب عن القراءة كفن . فتخلو إلى نفسك لتفكر فيما تكتب .

ولقد فكرت فلم تتزاحم الأفكار ، ولكنها تداعت ، فكرة تستحضر فكرة ، ورأى ينقض رأيًا .

كيف تكون القراءة فنًّا ، والقراءة وسيلة إلى غاية ، هى الفهم فالانفعال ، أو هى الدرس فالعمل به ، أو هى مجرد المعرفة . والفن فيما يقرأ ، لا فى القراءة ذاتها .

هذا موضوع ملغز ، يحسن أن نبدأ فيه من المبتدأ .

« فصل القاف باب الهمزة » : « القأقأة » أصوات غربان العراق . (أعاذنا الله من نقيق ضفادع الريف ، وقأقأة الغربان . فالأول مقلق للراحة ، والثانية منذرة بالبين) . القثاء بالكسر والضم ، أو الخيار . القندأو كغنغلو ، السيىء الغذاء ، والسيىء الخلق ، والغليظ القصير ، والجرىء المقدم . وأكثر ما يوصف به الجمل .

القرآن التنزيل . ومن هنا نبدأ :

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ السجدة . ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يس . ﴿ص ، وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ﴾ ص . ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الزمر . ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غافر . ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فصلت . ﴿حم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف . ﴿حم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ الدخان . ﴿حم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الجاثية . ﴿حم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الأحقاف . ﴿ق ، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ق . ﴿الرَّحمنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن . ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم . ﴿اقْرَأْ باسمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مَنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق .

والمقرئ ، هو القراء (بالضم) أى الحسن القراءة للقرآن . من أقرأ فلانًا ، جعله يقرأ ، فهو مقرئ .

فإذا فهمنا كلمة فن بمعناها الحديث ، لا تكون القراءة فنًّا إلا أن يتلى ما يقرأ بتنغيم ، كترتيل القرآن بالقراءات العشر ، أو أن يتلى الشعر والنثر قراءة بصوت الممثل أو الخطيب المدره ، فيكون هذا تمثيلاً أو خطابة .

وثمة قارئ يطالع المدونة الموسيقية فى سره ، فيتصور النغمات والإيقاع ، وقد يهمس أو ينبس بها . وهذا غير الأداء بغناء أو عزف .

ولكن كلمة فن فى اللغة تعنى أكثر من شىء واحد . يقول الفيروزابادى :

الفن : الحال والضرب من الشىء ، كالأفنون ، والجمع أفنان وفنون .

والفن ، الطرد والغبن والمطل والعناء ... . والتزيين .

وافتن ، أخذ فى فنون من القول . وفتن الناس جعلهم فنونًا .

والتفنين التخليط ، وفى الثوب طرائق ليست من جنسه ، فتفنين الثوب اختلاف نسجه برقة مكان وكثافة مكان .

ورجل مَفَنّ أى يأتى بالعجائب ، مؤنثه مفنة .

أما المفننة فهى العجوز السيئة الخلق .

وأخيرًا : الفنان ... .. وهو الحمار الوحشى ، له فنون من العدو .

هذا كلام لا يقدم ولا يؤخر فيما نحن بسبيله . فلنفتح قاموس المجمع اللغوى « المعجم الوسيط » :

الفن : جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة ، وجملة الوسائل التى يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال ، كالتصوير والموسيقى والشعر . ومهارة يحكمها الذوق والمواهب .

لعلنا نقترب من الغاية ، لاسيما أن « المعجم الوسيط » يفسر الكلمة فى مدلولها الحديث .

فهذا قاموس « دارمستتر » يقول :

١ – الفن وسيلة للتوفيق والنجاح فى عمل ما .

٢ – طريقة فى عمل الأشياء حسب القواعد ، كالفن الحربى ، والفنون والصناعات .

وجاء فى موسوعة لاروس الكبيرة :

١ – قواعد صناعة أو حرفة .

٢ – الوسائل التى يستطيع المرء أن يثير بواسطتها الشعور بالجمال .

٣ – جهد الإنسان ، مقابلا لعمل الطبيعة . نقول : هذه مدينة حصينة بطبيعتها ، وتلك مدينة حصنها الإنسان بالطرق الفنية ، أى أجرى فيها فنون التحصينات .

٤ – المهارة ، فى معنى قولنا : التفنن والشطارة .

فلنعد إلى موضوعنا : القراءة فن بمعنى أنها وسيلة للتوفيق والنجاح فى عمل ما .

والقراءة فن لأن لها قواعد .

ولا يمارى إنسان فى أن القراءة طريق سلطانى إلى ممارسة الحياة المتحضرة ، ولذلك اعتبرت القراءة والكتابة حجر الأساس فى التعليم .

نعم إن التعليم يتم عن طريق السماع ، ولكن الكتابة والقراءة امتداد للاستماع . وقد استنبط « لويس براى » وسيلة لهذا الامتداد بطريقة

الكتابة البارزة للمكفوفين ، يكتبون ويقرءون بها . ولقد كف بصر الأستاذ براى فى الثالثة من عمره .

ومع أن الدراسات كلها أقوى أثرًا بالسماع ، إلا أن كتابة ما يسمع فى درس أو محاضرة ضرورى لتوكيد ما وعاه السامع ، يعود إليه كلما شاء . والتعليم الجامعى الصحيح لا يكتفى بما يقوله المحاضر ويدونه الدارس فى أوراقه ، أو يطبعه الأستاذ فى ملازمه ، بل يمون ويدعم بقراءة أكثر من كتاب فى موضوع المحاضرة ، مساعدة للطالب على فهم الموضوع ، ولتوسيع مداركه بما يتفق ومعنى العلم ، بل لتمكينه من مناقشة آراء الأستاذ مناقشة واعية ، حين يتحول استيعاب الطالب من مجرد استذكار إلى فهم واسع الأبعاد .

القراءة إذن هى سبيل المعرفة ، والاستفادة ، والتبحر .

ثم يستوقفنا هنا تعريف للفن ورد فى الطبعة الأخيرة من « إنسكلوبديا بريتانكا » يقول :

« الفن فى أساسه معناه القدرة والمهارة ... . ويعرف من يكتسب الحذف فى عمل ما بأنه صانع فنان (أرتيزان) ، إذا كانت مهارته تهدف فى أهمها إلى غرض نفعى ، وفنان (آرتست) ، إذا كان هدفه التعبير عن الجمال » .

ولنا أن نفهم من هذا التعريف أن فن الآرتست نشاط جمالى خالص ، لا علاقة له بتحقيق فائدة عملية (ما عدا فن العمارة) ، فهل يمكن أن تكون القراءة فنًا بهذا المعنى ؟

أى أن تكون خالصة لذاتها ، لا لتحضير رسالة علمية ، ولا لمذاكرة أو محاضرة ، أو لإعداد خطبة فى موضوع ما ، إلى آخر ما هنالك من أهداف عملية للقراءة .

أى أن تكون القراءة حبًّا فى القراءة ونهمًا إلى الاطلاع ، وكلفًا بالمعرفة لذاتها . هل يوجد من الناس حقًّا من يضيف إلى القراءة الرشيدة المفيدة ، مطالعة لله فى لله ، يجد فيها القارئ لذة المستمع إلى الموسيقى ، أو من يمتع البصر بمناظر الطبيعة ، أو بآثارها الفنية ؟

إذا صح هذا ، فقد بلغنا لب الحقيقة ، والقراءة هنا فن لا مراء فيه .

وقد صح هذا عندى ، لا كحقيقة خارجية عرفتها فى غيرى من الناس فحسب ، بل كحقيقة داخلية خبرتها بنفسى ، وهى أن العلاقة بين القارئ والكتاب علاقة محبة ووئام ، قد ترتفع درجتها إلى حرارة الغرام .

* * *

كان لى فى أيام الصبا صديق من أهل النعمة واليسار ، ألف بين قلبينا حب الكتب ، إلى غيرها من فنون التعبير والتشكيل .

وكان إذا اشترى كتابًا ، وجلسنا إليه ، فتحه ثم رفعه إلى قرب أنفه ... ليشمه !

أثارت تلك الحركة استغرابى ، فأردت أن أفهم معناها بالممارسة بعض الوقت . فإذا للكتب الجديدة عبيرٌ خاصّ محبب للنفس ، قد تفقده

لتكتسب روائح أخرى ... ترابية فى القاهرة ، أو زنخة فى الإسكندرية . ورائحة الكتب تختلف تبعًا لنوع ورقها ممزوجًا بحبر طباعتها : قارن بين الكتب الصفراء ، والكتب المطبوعة على ورق فاخر . وفى سنوات ما بعد الحرب الأخيرة ، عبرت بأنفى رائحة الكتب الأجنبية فى الطبعات الرخيصة (كتب الجيب وما إليها) ، مصدرها فيما أظن مادة البلاستيك اللامعة التى تكسو أغلفتها .

المهم أن حركة صديقى الغريبة كشفت لى عن إحساس « القارئ الفنان » بالميل الشديد إلى الكتاب ، كمجرد كتاب ، ونبهنى إلى أنى ، ولو لم أك أشم كتبى الجديدة ، إلا أنى أقلبها ، وأتأملها من قرب ومن بعد ، كعوبها وحروفها المذهبة ، أتحسس ورقها ، وأفرّ صفحاتها ، أقف بفصل هنا وفصل هناك ، وأطيل النظر إلى الفهرست ، والصور .

ثم كان لى صديق بمدينة تولوز – المرحوم الكاتب حسن صادق – يهوى الكتب فى طبعاتها الفاخرة ، وتجليدها المترف . وكان إلى هذا قارئًا عكوفًا . لم يكن يبخل على بإعارتى ما شئت منها ، فتعلمت أشياء خاصة بأصناف الورق الغالى ، كالقولان ، والهولاند والجابون إلخ ، وبقيمة ما يعرف بالطبعة الأصلية ، وتبلغ أسعارها مبالغ خيالية فى كتب القرون السالفة . والغالب أن يصدر منها عدد من النسخ المرقمة من واحد إلى عشرة ، مثلا ، فى أفخر أوراقها ، ومن ١١ إلى ١٠٠ لما يتلو ذلك من الورق الممتاز ، وهكذا حتى رقم ٣٠٠ أو ٤٠٠ .

ولقد تكفلت بنشر أول كتاب لى ، فاخترت ورقًا جيدًا للنص ، وورق كوشيه للصور ، وذهبت إلى خطاط كبير ليكتب لى صيغة التقديم وعنوانات الكتاب وفصوله . آثرت لها الخط الفارسى الذى عشقته منذ نعومة أظفارى . وفى كتابى الثانى « حديث السندباد القديم » قدت الخطاط إلى مسجدى قلاون والناصر محمد ، وطلبت منه أن يكتب العنوان واسم المؤلف بالخط المملوكى الذى زينت به الأفاريز الخارجية والداخلية .

وكان صديقى المرحوم محمود طاهر لاشين ، رائد القصة المصرية القصيرة ، يعجب من هذا السرف فأقول له هازلا : هبنى أصرف على زفة ختان ولد لى !

والحقيقة كامنة فى شغفى بالكتب كأسفار فى ذاتها ، بعد أن نما ذلك الشغف من أثر مضامينها ، وما أدين به لها .

ويبدو لى أن الاسترسال فى هذا العشق المجرد يبعدنا عن القراءة ذاتها كفن ، فى بعض ما تعنيه هذه الكلمة ، وهو : قواعد صناعة أو حرفة (لاروس الكبير) . فماذا يكون فى القراءة فى هذا المعنى ؟

أوله التذوق ، وهو حاسة أساسية لكل تأثر بالفن . هاوى القراءة ذواقة قبل كل شىء ، لا مجرد قارئ لضرورة أو عائدة .

إنه لا يقتنى كتابًا فى تفسير الأحلام ، أو فى الطب الطبيعى ، أو فى اليوجا ، أو فى رياضة الجسم . فالقراءة عند الذواقة فن ، وعند الآخر

طلاب فائدة . والناس كلهم يقرءون للفائدة . أما القارئ الفنان – إلى استهدافه المنفعة كبقية الناس – فهو من يقرأ حبًّا فى القراءة ، وكفى

* * *

إخالنى أقترب مما أبحث عنه منذ البداية ، فلألتمسنّ المعونة من ذكرياتى الأولى فى القراءة ، خارج الكتب المدرسية .

أذكر أن حبى للقراءة أثارته كتب بمكتبة والدى لا علاقة لها بالرياضة والهندسة المعمارية ، ومكعبات الهدم والردم : مجلاّت باسم « التنكيت والتبكيت » ، و « المقتطف » – فى أعدادها الأولى بالحروف المسلوخة ، و « مجلة المجلات » ، و « الهلال » . وكتاب « بدائع الزهور فى أخبار الدهور » المنسوب إلى ابن إياس (وهو غير كتابه التاريخى العظيم) ، يقص علينا أساطير خلق الكون ، السهل فيه والحزن ، جباله وأنهاره وبحاره وسماواته ، فخلق الملائكة ، فالجن ، ثم الإنسان .

وكتاب « عجائب الهند ، بره وبحره وجزائره » لبزرك بن شهريار الناخداه ، وهو يحتوى على مغامرات البحريين العرب والفرس فيما يشبه حكايات السندباد . وقصة « تغريبة بنى هلال » ، و « الظاهر بيبرس » ، و « الأميرة ذات الهمة » ، و « حمزة البهلوان » . والكتاب الذين أجرى عبراتى مدرارا : « نور العين فى مشهد الحسين » .

ثم « ألف ليلة وليلة » ... . ولا أنسى منه قصة « الحمال والسبع بنات » ، وما حدث فى بدايتها من مداعبة مكشوفة بين الحمال والبنات حول بركة ماء فى فناء منزلهن . وقصة « الحسن البصرى » وسفره بحثا

عن زوجته التى هجرته وطارت إلى بلادها بجزائر واق الواق . وقصة « القلندرى الثالث » ، و « قصر الزمان ابن الملك شهرمان ، صاحب جزائر خالدان ، وما جرى له مع معشوقته الأميرة بدور بنت الملك الغيور ، صاحب السبعة بحور » ، و « أنس الوجود مع الورد فى الأكمام » ذلك « الإيديل » الشعرى الذى يفيض صبابة .

وأخيرًا تلك الرحلات البحرية العجيبة يروى أخبارها تاجر ثرى فى بغداد اسمه السندباد ، فى جمع من أصحابه ، وقد انضم إليهم حمال استضافه الرحالة فى يوم شديد القيظ ، عندما عرف أنه سميه ، وقال له « إذن أنت السندباد البرى ، وأنا السندباد البحرى » .

ثم القصص التى تجرى وقائعها تحت سطح البحور العميقة ، مثل قصة « عبد الله البرى ، وعبد الله البحرى » (راجع تحليلى لكل هذا القصص البحرى فى كتاب « حديث السندباد القديم ») .

وأذكر أول سفر إلى الريف مع جدتى لزيارة أسرتها ، ولم يكن ريفًا نائيًا (قرية أوسيم) ، وكيف حملت إليه قصص « الفرسان الثلاثة » و « روكامبول » ، وما إليها من القصص المترجم فى مطالع هذا القرن .

وقرب المراهقة عثرت فى مكتبة والدى على ذلك الكتاب الرومانتيكى القح « الأجنحة المتكسرة » لجبران خليل جبران .

أى أننى انتقلت إلى المرحلة الثانوية ولوعًا بالقراءة ، وإذا بى أجد بين يدى جارى بالمدرسة — وكان ابن ناظر النظار (رئيس الوزراء) فى ذلك

الحين – كتبًا إنجليزية بجلدة حمراء تتصدر غلافها صور ملونة ، ولها عنوان عام هو « لمحات من بلاد كثيرة » .

فأبديت للوالد رغبتى فى اقتناء مثل هذه الكتب ، واصطحبنى إلى مكتبة الألمانى « ديمر » بمبنى فندق « شبرد » القديم . وخرجت أطير فرحًا بكتاب عن « الصين » ، وآخر عن « الهند » . وفى مرات تالية حملت الترجمة الإنجليزية لكتب إسكندر دوماس : « الفرسان الثلاثة » و « بعد عشرين سنة » و « الملكة مارجو » و « الكونت مونت كريستو » فى طبعة رخيصة مصورة (نلسون) .

وفى الثانية الثانوية قرأت قصة « وردة » فى ترجمتها الإنجليزية ، ثم عثرت على ترجمتها العربية لمحمد مسعود ، كتب تحت عنوانها « رواية تمثل أخلاق وعادات المصريين فى عهد رعمسيس الثانى ، وترسم للقارئ نظام حكومتهم ، وما وصلوا إليه من التقدم فى العلوم والمعارف . أبرزها من الآثار القديمة وأوراق البردى للدكتور جورج إيبرس الألمانى » .

وفى الثالثة الثانوية بدأ غرامى بالمسرح ، مما دفعنى إلى قراءة الأدب التمثيلى فى كل ما ترجم إلى العربية حينذاك .

وفى السنة الرابعة كان تقرير قصيدة وليام موريس الشعرية ، « حياة وموت جيسون » مفتاح الأدب اليونانى ، وتوفرى على اقتناء سلسلة كتب « أفريمان » بدءا بالقاموس الكلاسيكى ، « والإلياذة » ، و « الأوديسية » ، فالمسرح الإغريقى كله .

ويمكن القول بأن القراءة تحولت عندى من الغرام العارم ، إلى الاطلاع المنظم ، يتابع خطوطًا بعينها . وساعدنى كتالوج « أفريمان » على معرفة أعلام الكتب فى آداب العالم ، فلم أنتقل إلى الدراسة العالية حتى كنت قد قطعت شوطًا بعيدًا فى قراءة تلك المؤلفات العظيمة ، كما كنت قد بدأت دراسة اللغة الفرنسية لأطالع آدابها فى نصوصها .

ولا أزعم أنى كنت أفهم كل ما أقرأ ، إنما المهم أننى كنت أتابع غالبا خطة ، وأسلك طريقًا سويًّا إلى المعرفة . فما إن بدأنا فى المرحلة الثانوية دراسة الأدب العربى ، حتى عولت على قراءته من أوله ، أعنى من الشعر الجاهلى ، ولم أتوقف إلا عند توقف الحضارة العربية .

والحق أنى الآن مندهش ، ولا أكاد أصدق أننى فى حياتى قرأت كل تلك الكتب . والأعجب أن إحساسى فى شيخوختى هو أننى لم أتعد نصف مرحلة الاطلاع !

ولقد وجدت فى مكتبة والدى كتابًا يغلب على الظن أنه دخل البيت بطريق الخطأ . عرفت من عنوانه أنه نص (ليبرتو) رواية « عايدة » لشاعر إيطالى اسمه كيسلانزونى ، وفهمت من الإشارات والرموز بداخله أنه يحتوى على موسيقى فردى .

هذا المجلد ما زال فى مكتبتى ، وما برحت أذكر كيف كنت أجلس إليه حائرًا ، أقلب صفحاته معجبًا بتلك الرموز التى لا أفهم منها حرفًا ، كما لا أفهم إلا قليلا من النص الإيطالى المكتوب تحت الموسيقى . ولو أنى

كنت أعرف الرواية من نصها العربى – وهو باق عندى إلى اليوم – كما شهدتها من جوقة الشيخ سلامة حجازى .

إلى أن حل اليوم السعيد جدًّا فى حياتى ، الذى تمكنت فيه من فك تلك الرموز الموسيقية ، وأخذت أقتنى مدونات الموسيقى الرفيعة ، فأضفت متعة جديدة للقراءة ، وهى إمكان مطالعة تلك المدونات ، وهى لذة لا يعرفها إلا دارسو الموسيقى ، عندما يعودون من سماع حفل سمفونى ، أو أوبرا ، ليراجعوا ما سمعوه فى مدوناتهم ، وكأنهم يقرءون فى كتاب مفتوح . أو حين يتابعون أداء موسيقيًّا مسجلاً ، وهم يقلبون صفحات مدونته .

* * *

أهذا ما عناه الأصدقاء الذين طلبوا إلى الكتابة فى موضوع : القراءة فن ؟

أم كانوا يقصدون إلى أن أعطى دروسًا فى الموضوع ، فأرسم خطة حكيمة للقراءة الرشيدة ؟

ولكنى لا أومن بالخطط التى يرسمها لى الآخرون ، وأحسب الناس فى هذا على شاكلتى .

ثم إنى لا أعرف طريقة لتحبيب القراءة إلى من ليس لديه استعداد لها .

وبعد كل ما قلت ، فإنى غير متأكد من أن القراءة فن ، إنما هى يقينا داء ، دواؤه نفسه . إنها نوع من الإدمان الخطير قد يتحمل الضحية فى سبيلها كل حرمان .

ما أكثر ما فرحت فى حياتى باقتناء لعبة ، أو دراجة ، أو جهاز تصوير أو تسجيل وما أحب إلى أن أشترى كساء أو حذاء أو ربطة رقبة تعجبنى فى فترينة !

ومع ذلك ، كم أحب أن يصدقنى القارئ وأنا أختم هذا الفصل بزعم أنى لا أعرف فرحة تعادل فرحى باقتناء الكتب . وأحب الفترينات إلى هى ما يوضع فى واجهات المكتبات .

فرحة لم تضعف فى سنوات الحداثة حتى أوائل الشيخوخة ، وما أظنها إلا فى ازدياد على كر السنين .

أعود إلى البيت بربطة كتب ، أو مدونات موسيقية – وهذه كنت أطلب أكثرها من الخارج – فلا أنقلب إلى فراشى حتى أكون قد محضتها واحدًا واحدًا ، كالبخيل بين دنانيره . أشاهد صورها ، أو أتمثل ألحانها ، أطالع بعض أولها ، وبعض أوسطها ، وبعض آخرها ، لإشباع فضولى ، ولتطمئن نفسى على حسن اختيارى ، وتواعدًا على لقاء ممتع طويل .

قد تكون كتبًا فى التاريخ العام ، أو فى السياسة ، أو الفنون ، أو الاجتماع ، أو العلوم ، أو الجماليات ، أو التراجم ، أو الرحلات . ماذا يهم ؟ إننى الحمار يحمل أسفارًا ، يحب حمله ، ويعى ما فيه !

لا أهاب سوى كتب الفلسفة الأصيلة ، فلم أجسر على الاقتراب من إيمانويل كانت ، وسبينوزا وهيديجر ، وهوسرل وكارل ياسپرز . حتى بول سارتر لا أطالع له سوى ما يقرؤه كل الناس ، فما فتئت مع شديد الأسف حرفوشًا أميًا فى الفلسفة .

وفى الاقتصاد الحديث ، غير التقليدى ، كأنى الأطرش فى الزفة . حصنت نفسى بالصبر والجلد فطالعت مختصرًا وافيًا لكتاب كارل ماركس « رأس المال » ، وقد فهمته بعد عناء ... . نص نص !

ولكنى لا أعرف معنى اليأس فى شئون القراءة ، نشأت على قصة للأطفال الإنجليز تقول حكمتها : حاول من جديد .

وهى النصيحة التى أسديها للقراء : لا تصدنَّك صعوبة عن المضىّ فى قراءة كتاب عظيم . أعد قراءته ، وسترى أنك بعد فهمه ستطالعه مثنى وثلاث ورباع .

حسين فوزى

صلاح عبد الصبور



ما جدوى الشعر

عم نبحث فى شعرنا العربى ، بل عم نبحث فى كل شعر ؟

هل نبحث فيه عن المعارف العامة ؟ إذن فالعلم أصدق منه وأغنى ردا ، هل نبحث فيه عن الحكمة ، فالفلسفة تتقدمه ، ولو بحثنا عن يقاع والنغم لاستغنينا بالموسيقى عنه ، ولو بحثنا فيه عن اللغة لكان معجم هو زادنا الشعرى . ولا كتفينا بما قيل من شعر فى أول الزمان حصر شوارد اللغة وأوابدها .

والسؤال هنا عن بغيتنا فى الشعر يعنى أننا نسأل ما جدوى الشعر ؟ ليس هذا السؤال دليلا على السذاجة ، وإلا لما أطلقه كثير من الناس فى تى العصور ، منهم الفلاسفة والمفكرون والقادة ، بل ومنهم الشعراء ..

ومن أقدم الإجابات على هذا السؤال تلك الإجابة التى أطلقها الفيلسوف مظيم أفلاطون حين بنى من خياله مدينة فاضلة تقوم على فكرة العدالة ، نشيع السعادة بين الناس ، فاستبعد منها الشعراء ، زاعما بأنهم جديرون ن يملأوا العقول بالأوهام والخرافات وأن يصرفوها عن جد العمل إلى زل القول ، فما هم بمحاربين حتى يحملوا السلاح وينزلوا إلى المعركة ، قتلون ويقتلون ، وفى سبيل مدينتهم ما سفك من دم . وما هم بصناع رفيين حتى ينتجوا ما تحتاجه الحياة من مقاعد وأسرة وكساء وحيطان ،

ودروع وسيوف ، وما هم بفلاسفة مشرعين يحكمون العقل فى كل أمرهم ، ويقضون بين الناس فإذا اجتهادهم الذى قد يخطئ ويصيب ، قانون نافذ على الأبدان والرقاب .

الشعر إذن – في رأى أفلاطون – لا جدوى منه ، اللهم إلا إذا كان أناشيد تتقدم صفوف المحاربين ، وترن أصداؤها فى ظلال راياتهم ، وهو عندئذ إلى الموسيقى أقرب . والفيلسوف العظيم ليس هو وحده صاحب هذا الرأى . فالرأى تعرفه الانسانية منذ وعت وجودها . وستظل تعرفه إلى أن يقضى الله بأمره . ولكن لهذا الرأى نقيضه الحاد الذى يزعم أن الحياة بلا شعر لا تصبح حياة حقا . بل إن الشعر أعظم وأصدق من الحياة وأكثر منها « حياة » فى بعض الأحيان ، وإلا فما بال شخصية كشخصية « هاملت » أو « أوليس » تزيد فى حياتها غنى – بما تثيره فى النفس من أحاسيس وما كتب عنها من كتب ودراسات – عن ملايين من البشر الذين عاشوا فلم يحس بهم أحد ، ولم يسمع بنبئهم إنسان . بل لقد اكتسبت بعض الشخصيات الشعرية حياة أعمق وأكثر ثراء من حياة مبدعها فما أقل ما نعرفه عن « هوميروس » ذاته ، وما أكثر ما نعرفه عن أبطاله .

وهناك من يقولون ان الشعر هو سر الحياة وجوهرها ، فهم إذا شهدوا جمالا فريدا فى الحياة زعموا أنه شعر أو كالشعر ، وإذا كشفت لهم البداهة حقيقة نافذة قالوا إنها من شعر الكائنات ، وهؤلاء وسابقوهم يقولون إن الحياة تستطيع أن تستغنى عن المحاربين حين يسود السلام

(ويا له من حلم جميل) ، وعن الصناع لو عادت إلى بدائيتها واستغنى كل إنسان ببراعته عن شراء براعة الآخرين ، وعن الحكام والمشرعين لو سمت الأخلاق وعم العدل الاجتماعي . ولكنها – قط – لا تستطيع أن تستغنى عن الشعراء .

ولنتوسط نحن في القول ، فنزعم أن الشعر هو فن اكتشاف الجانب الجمالى والوجدانى من الحياة ، والتعبير عنه بالكلمات المموسقة ، فبدون الشعر – قصائد الحب والغزل – لم نكن لنستطيع أن نرتفع بالجنس إلى أفق الحب ، ونكتشف ألوانا مختلفة من هذه التجربة ، ونرى مناطقها الظليلة والصحو والمعتمة ، ونحس بها ككائنات بشرية لها ميلادها ونموها وموتها .

وبدون الشعر – قصائد الطبيعة – لم نكن لنستطيع أن نبث الحياة في المادة الجامدة ، وفى الألوان البكماء ، وفى الكتل المتراكمة . ما حمرة الورد لولا عيون الشعراء ، وما صفاء النسيم ورقته ، وغليان البحر وهدير موجه .

والشعر قديم قدم الإنسان ، ويحدثنا علماء الأنثروبولوجيا ، عن أناشيد الرعى والاستسقاء والعبادة عند الشعوب البدائية ، فنرى ما فيها من شعر ، وتحفظ لنا الإنسانية الملاحم القديمة كملحمة جلجامش (قلقميش) البابلية التى يعود تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، كما تحفظ لنا كتاب الموتى الفرعونى ، وأناشيد الغزل الحلوة التى أبدعها الشاعر المصرى القديم ، كما تحفظ لنا الياذة هوميروس وأوديسته ، ثم تظل الذاكرة الإنسانية

حافلة بالشعر على مدى عصور الحياة حتى زماننا هذا ، وسيظل الشعراء يكتبون ويتفننون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

بل إن العلماء يقولون لنا إن الشعر أقدم من النثر . ولا نعنى بالنثر هنا ألفاظ الحياة اليومية ، بل النثر الفنى الذى لا تستعمله الإنسانية إلا فى أطوار حضارتها . أما الشعر فهو ثمرة البداوة والحضارة معا . لأنه نتاج اللحظات الخصبة التى يعرفها كل جيل وقبيل من الناس .

لم يتخل الإنسان إذن عن الشعر قط ، بل ظل ينشئه فى كل زمان ومكان ، ولم يتخل عنه أيضا متذوقا ومستمتعا . بل ظل كل إنسان يأخذ منه قدر ما يستطيع . فهذا قد يأخذ منه الموال الساذج أو أغنية العمل البسيطة ، أو النشيد الحماسى الملتهب ، وهذا يأخذ منه أغنية الغرام العذبة أو المناجاة الدينية الرقيقة ، وهذا يقدم على ملاحمه ومسرحياته وقصصه .

ولكن هل يحس الإنسان بنفع الشعر كما يحس بنفع ملابسه أو أدوات الحياة اليومية المتاحة له . أم هل يحس الإنسان بجدوى الشعر كما يحس بجدوى طعامه وشرابه . لا ! فقد خرج الشعر من دائرة الأعمال النافعة نفعًا مباشرًا إلى دائرة الأعمال التى يتغلغل نفعها متخفيا فى النفس البشرية . ونفع الشعر لمتذوقه لا يتم إلا حين يتلقاه المتذوق تلقيا فرديا ، لأن لكل منا قدرته على رؤية الجمال ، وتتحدد تلك القدرة بظروفه وثقافته وبنائه النفسى . ولكل منا أيضا زاوية رؤيته الخاصة ، فما ينفعك من الشعر قد لا ينفع غيرك .

ومن هنا عمت الحيرة فى تقدير جدوى الشعر ...

ولكن هبنا لم نستطع أن نكتشف الجانب الجمالى والوجدانى فى الحياة بعد أن يعيد الشعراء عرضه علينا ، أكانت حياتنا تنقص كثيرا ؟

كانت حياتنا جديرة بأن تفتقد « الفضيلة » لو افتقدت الشعر ولست أعنى بالفضيلة هنا مفردات الأخلاق التقليدية كالكرم والعفة والصدق فى القول . ولكنى أعنى الفضيلة الأم ، وهى فضيلة تقدير الحياة والنفس الإنسانية . لقد كانت الحياة جديرة بأن تصبح ملساء باهتة الملامح لولا الشعر . وكانت النفس الإنسانية جديرة بأن تصبح عماء ساكن السطح عديم الادراك لانفعالاته الباطنة لولا الشعر . فالشعر اذن يرينا نفوسنا فى انفعالها وعواطفها بما يجلوه من صور نفسية ، ويعيننا على الاحتفاظ لتلك النفس بأصالتها ، وعلى تنمية هذه الأصالة : وهو يرينا الجمال فى الحياة ويعلمنا تقديره بما يبعث فينا من الألفة لكائناته .

ومن هنا كان من الواجب حين ندرس الشعر أن نفتش عن تحقيقه لهذه الفضيلة العظمى ، تقدير النفس والحياة ، ومن هنا كانت معظم دراساتنا لتراثنا العربى . دراسات قاصرة لأنها لم تعمد لهذا الغرض الجوهرى لكل شعر .

والشاعر العظيم مكتشف عظيم فى عالم الجمال والوجدان . لأنه يرى الأشياء والأحاسيس رؤية طازجة . ليست نظرته وليدة المنطق أو العلم ، ولكنها وليدة الحدس . وليست أدواته هى التحليل والتركيب ، بل هى الخيال المصيب .

ونظرية الوحى والالهام من أهم النظريات فى تاريخ الشعر . والوحى معناه الكشف الباطنى عن حقائق لا تبدو ظاهرة لعيان البصر أو عيان العقل . فهو عمل من أعمال البصيرة النافذة التى تستطيع أن تثب فوق أسوار الظاهرة لتلتقى بعالم الموجودات لقاء حميما حاد الرؤية . وقد فطن أفلاطون نفسه إلى نظرية الوحى فى محاورة « ايون » إذ قال إن الملهمات هن اللائى يلهمن الشعراء من منبع متعال عنا نحن البشر . ومن الغريب أن الشعر العربى القديم نشأ فى حضن نظرية استمداد الالهام من منبع متعال عن البشر . فقرن الشعراء أنفسهم بالجن . واعتقد كل منهم أن له من أفراد الجن قرينا هو الذى يؤلف الشعر ثم يلقيه على لسانه . وتلك نظرة صادقة . اذ كيف يستطيع الشاعر تأويل هذه الحال الغريبة التى يجد نفسه فيها نهبا لعالم من الأفكار والصور لم يتأهب له ، ويجد أن هذه الأقوال التى يجيش بها صدره تضغط على نفسه وأشداقه كأنها تطلب أن تخرج إلى عالم الفضاء البعيد . ومن أبيات امرئ القيس — أقدم الشعراء الكبار — بيت يكشف فيه حدود هذه العلاقة بين الشاعر والقوى المتعالية عن البشر ، يقول فيه :

تخيرنى الجـــــن أشعارهـــا فما شئت من شعرهن اصطفيت

فالجن عنده ملهمون أو ملهمات . وعند الشاعر « الأعشى » تقوم الجن بالسفارة بينه وبين محبوبته :

فبعثت جنيـــا لهـــــا يأتى برجـــــع جوابهـــا
فمضى — ولم يخش الرقيـ ـب ، فزارها ، وخلا بها

ومن سوء حظ الشعر العربى أن نظرية الالهام لم تكد تثبت فى الوجدان العربى ، حتى زاحمتها نظرية أخرى ، هى نظرية الصنعة الشعرية ، وأصبح الشعر صنعة كمعظم الصنائع ، يحتاج قائله إلى دربة ومرانة ومعاودة نظر ، هذه النظرية التى عبر عنها ، ففتح باب صياغتها النقدية ، الشاعر الأموى عدى بن الرقاع العاملى فى قوله :

وقصيدة قد بت أجمع شملها — حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته — كيما يقيم ثقافه منادها

فهو يكاشفنا أنه يجمع شتات أبيات القصيدة بيتا إلى بيت ، ثم يعيد النظر فيها محاولا إقامة اعوجاجها كما يفعل صانع الرماح حين يشذب أطراف القناة مرة بعد مرة . فإذا استوت القناة أطلقها .

ومن الغريب أن نظرة عدى بن الرقاع هى الأخرى نظرة صادقة ، فالشاعر لا يكاشف الناس بأول ما يجيش به فؤاده ، بل هو يلجأ إلى خبرته ، وإلى معرفته النقدية السابقة بأوجه تحسين القول . وتستيقظ فيه ملكة نقدية غذتها بدائع تراثه الشعرى ، وحددت أصولها ، فهو عندئذ يعيد عرض قصيدته أمام تراثه وتراث لغته الشعريين .

وللتراث الشعرى سيطرة لا يكاد يفلت منها إلا الشاعر العظيم فالشعراء يخضعون لهذا التراث خضوعا شبه مطلق ، فإذا أراد أحدهم أن يصف اختار التشبيه الجاهز الذى درج عليه الأقدمون ، وإذا أراد أن يمجد إنسانا اختار الأوصاف المتواترة التى وردت فى محفوظه من الشعر ، وحتى اللغة عندئذ تفقد فرديتها وأصالتها وتصبح لغة عامة ، لا يتميز بها شاعر

عن شاعر . ومن السهل أن نتبين فى شعرنا العربى ، وفى كل شعر لونين من الأداء الشعرى : أولهما هو اللون الذى تتميز فيه التجربة الشخصية ، ويكون فيه الشاعر إنسانًا متميزًا ينتج شعرًا متميزًا ، وذلك بعد أن هضم التراث ووعاه ، وتغلغل هذا التراث فى نفسه بحيث أصبح جزءا من تكوينه ، واستطاع بعد ذلك أن يصل إلى أسلوبه الخاص ، وإلى قريب من ذلك فطن الناقد القديم حين نصح شاعرًا ناشئًا بأن يحفظ عشرة آلاف بيت مما كتبه العرب ، ثم ينساها ، فكأن النسيان لا يقل أهمية عن الحفظ ، وهو لم يكن يعنى بالنسيان هنا أن تمسح عن قلبه بل ألا تخطر بباله حين ينظم شعره .

والشاعر من هذا المستوى يتجاوز التراث عادة ، فيضيف إليه جديدا ، ولا يأوى إلى ظله بل يخرج إلى باحة التجربة الواسعة ويحس احساسا عميقا بسيطرته على اللغة ، بل على الشعر . وهناك كلمات كثيرة من هذا القبيل ترددت على لسان أبى العتاهية وأبى نواس وأبى تمام .

أما اللون الثانى من الشعر فهو ذلك الشعر الذى تتوالد فيه المعانى من معان سبق إليها شعراء آخرون ، بل تتوالد فيه الأبيات من أبيات سابقة ، فهو لون من التنويع أو التجويد ، بل لقد يصل الأمر إلى تكرار التشبيهات والاستعارات ومداخل القول . وذلك هو شعر أولئك الشعراء الذين استعبدهم التراث ، واستنزف احتذاء النماذج الناجحة كل جهدهم وملكاتهم الابداعية . فالشاعر منهم إذا أحب لا يجيل فكره ووجدانه فى حالة من الحب ، بل يعمد إلى ما قاله قيس ليلى أو قيس لبنى أو جميل

أو غيرهم من أئمة العشق والغزل فيعيد صياغته وتركيبه ، وإذا وصف الليل وردت لذهنه أبيات امرئ القيس الشهيرة ، فالليل قد أناخ بكلكله وشد بأمراس كتان إلى صخر صلد ، وإذا شرب الخمر ذكر أبا نواس وعصابته ، وقال بعض ما قالوه .

هناك إذن شعراء يمتلكون التراث ، وشعراء يتملكهم التراث وقد خلط شعرنا العربى القديم بين هذين الأسلوبين ، بل لقد اهتم البلاغيون القدماء — للأسف — باحتذاء التراث ، وعدوا هذا المنهج هو المنهج الشعرى الصحيح .

ومهمة كل من ينظر من جديد فى تراثنا الشعرى القديم هى أن يتوقف عند هذه الأسئلة الثلاثة : ما جدوى الشعر ؟ من أين ينبع الشعر ؟ ما موقف الشاعر من التراث ؟

فإذا استطاع الشاعر أن يعبد تقدير ملمح من ملامح الحياة أو النفس ، وأحسن قارئه أنه ينبع من منبع الالهام الذى ترفده وتعينه ثقافة الشاعر وخبرته ، وأن الشاعر يستعبد التراث ويمتلكه ، ولا يدع له الفرصة كى يبسط عليه سلطانه ، فذلك هو الشعر العظيم .

ولننظر بعد ذلك فى تراثنا القديم ...

صلاح عبد الصبور

د . السيد أبو النجا



القراءة مبدأ حساب

قد يبدو لأول وهلة فى هذا العنوان شيء من التناقض . فالقراءة الحرة الرحبة لا يمكن أن تشد إلى الحساب الجامد الذى يقرر أن ١+١ = ٢ ثم يرفض المناقشة فى هذه الحقيقة . لكن معنى القراءة من الناحية العلمية أنها عمل عقلى وانفعالى ، فهى تقتضى التعرف على الكلمات ، وفهم معناها ، والإحساس بما يقدمه كاتبها فيها من توجيهات ، ثم تقييم هذه التوجيهات قبل وضعها موضع التطبيق . وهذا التفسير يؤلف بين القراءة والعمل . فالقراءة هكذا أداة لاصطياد المعلومات وإثارة الإحساسات . وهذه تتفاعل فى نفس القارئ مع تجاربه القائمة ، فتؤثر فى سلوكه الذهنى والإنسانى ، وتصبح قوة تحركه لينطلق فى الحياة وفقًا لسلوكه الجديد ، فيأتى من التصرفات ما يعود بالخير أو بالشر على حياته وحياة المجتمع الذى يعيش فيه . ومن هنا تصبح القراءة وسيلة للتنمية أو للهدم ، فلابد من الرقابة العلمية عليها ، ومتابعة آثارها على مختلف الطبقات ، وقياس نتائجها بالأرقام فى حياة الأفراد . أرأيت إذن أنه لا تناقض بينها فى النهاية وبين الحساب ؟

إن القراءة من شأنها أن تسهم إيجابًا فى تطوير الشخص فتزيد دقته فى تقصى المعلومات والحكم على الأشياء ، وتؤثر فى اتجاهاته ومستواه

الخلقى ، ومعتقداته وتصرفاته . ولكنها أيضًا قد تسهم سلبا فى تطويره فتقوده إلى أعمال ضارّة ، ولذلك ينظر المصلحون فى قلق إلى ما ينتشر عن الجنس والجريمة . وقد أصبحت القراءة اليوم من أدوات الدعاية الفعالة ، ولذلك عنيت الحكومات بتعويد شعوبها التفكير فيما تقرأ ، وتقييم مصادره . وقد وضعت الحكومة الأمريكية بين سنتى ١٩٣٠ ، ١٩٥٠ دراسات لتحسين فن القراءة ، وقامت المؤسسات الصناعية الكبيرة بعد ذلك بوضع دراسات خاصة بموظفيها لتعليمهم هذا الفن .

المراحل الأربع لتعليم القراءة :

أظهرت الأبحاث أن تحصيلات التلاميذ من القراءة تختلف اختلافا كبيرًا ، فبعضهم من يصل فى المرحلة الأولى إلى ما لا يصل إليه سواه إلا فى المرحلة التالية أو التى بعدها .

والمرحلة الأولى هى التى يبدأ فيها الطفل فى تكوين ملكاته العقلية والاجتماعية والعاطفية واللغوية ، حتى إذا وصل فى عمره إلى ست سنوات بدأ يهتم بالكتاب وبالكلمة المطبوعة فيدخل المرحلة الثانية .

وفى هذه المرحلة يتعرف بنظره على نحو ثلثمائة كلمة ، ويزداد اهتمامه بالقراءة لأنه يبدأ يفكر فيما يقرأ ، ومع تزايد سنه يتعلم كيف يستقل بنفسه فى القراءة فيدخل المرحلة الثالثة .

وفى هذه المرحلة تزداد سرعته فى القراءة الصامتة ، وفى فهم ما يقرأ ، ويزداد عدد الكلمات التى يتعرف عليها بنظره إلى ألف وخمسمائة أو ألفى كلمة ، ثم يتعلم القراءة بصوت مسموع ، ويكتسب المهارات

اللازمة للتحدث بما يجمعه من قراءاته ، كما يستخدم القراءة لإشباع حب الاستطلاع فى نفسه ، ولجنى المعلومات من العلوم المختلفة .

بقيت المرحلة الرابعة . ومن خصائصها أن تكون القراءة باهتمام أكبر وتذوق أحسن . وخلال هذه المرحلة تنقّى القدرات السابقة وترهف ، ويتسع مدى التعرف على الكلمات والمعانى ، وتنمو القدرة على التفسير . وبزيادة الحصيلة من المعرفة تتأكد القدرة على التقييم الصحيح ، والاستفادة من القراءة فى تكييف الاتجاهات والسلوك . إن القراءة فى هذه المرحلة تزداد اتساعًا وعمقًا فيصبح القارئ – كما يقول William . S . Gray – ناضجًا Mature.

القراءة والاهتمامات :

أثبتت الدراسة أن الأطفال يظهرون فى مدارجهم الأول اهتماما بالحيوانات ، وميلاً إلى الحكايات عن الأطفال الآخرين الذين هم فى سنهم . وقبيْل المراهقة يظهر الأولاد ميلا إلى قراءة المغامرات وطرق القيام بها والهوايات وعبادة الأبطال . أما البنات فيظهرن اهتمامًا بالبيت والحياة المنزلية ، وبعضهن يملن إلى قراءة المغامرات . وقد لوحظ أن البنات يحببن كتب الأولاد ، على حين أن الأولاد لا يحبون كتب البنات .

وفى سن المراهقة يبدى الأولاد اهتمامًا بالمجهول وبالألعاب الرياضية ونواحى الترفيه ، فى حين يقبل البنات على الروايات الغرامية والقصص التى تعالج مشاكلهن قبل سن العشرين .

أما اهتمامات البالغين فهى متنوعة ومعقدة .

وقد ذكر Dogulas Waples and Ralf W. Tyler أنهما بحثا الميول للقراءة عند البالغين – على مستوى دولى – فوجدا أنها تختلف باختلاف الجنس والسن والبيئة والوظيفة وعدد سنوات الدراسة. ولم تتفق الميول إلا فى اتجاهين اثنين هما الاتجاهات الدولية والنظافة الشخصية، كما لاحظنا أن سهولة الوصول إلى المواد المقروءة من أهم دوافع الإقبال عليها، ولذلك تقرأ الجرائد والمجلات أكثر مما تقرأ الكتب.

أبحاث اليونسكو :

الشخص يتعلم كيف يقرأ، ثم يقرأ كيف يتعلم، وقد قام اليونسكو ببحث عن الأمية فيمن تزيد سنهم على ١٥ سنة، فتبين أن ما بين ٤٣٪ و٤٥٪ من سكان العالم أميون. وهم يبلغون سبعمائة مليون نسمة، توزيعهم على القارات كما يلى :

٧٤٪ فى آسيا .
١٥٪ فى أفريقيا .
٦ ٪ فى الأمريكتين .
٥ ٪ فى أوربا .
―――
١٠٠٪

ويتضح من تقرير اليونسكو أن أقل البلاد فى نسبة الأمية هى النمسا والدانمارك وفنلندا وألمانيا وأيرلندا والنرويج والسويد وسويسرا وإنجلترا وأستراليا ونيوزيلندا حيث تروح فى كل منها بين ١٪ و ٢٪ .

ثم اليابان وتشيكوسلوفاكيا وكندا حيث تروح بين ٢٪ و ٣٪ ثم الولايات المتحدة وبرمودا وبلجيكا وفرنسا حيث تروح بين ٣٪ و ٤٪ .

والدول التي فيها أكبر نسبة من الأمية (بين ٩٥٪ و ٩٩٪) هي أنجولا وإيرتريا والحبشة وإفريقيا الفرنسية الاستوائية وإفريقيا الغربية الفرنسية وموزنبيق وإفريقيا الجنوبية الغربية وإفريقيا الغربية الإسبانية وعدن وأفغانستان والبلاد السعودية واليمن .

وقد جاء في تقرير اليونسكو أن الأمي حكمًا Functional illiterate هو الذي يقرأ كالأطفال الذين قضوا أربع سنوات فقط في المدرسة ، وغير الأمي هو الذي حصل من المهارات في القراءة على مقدار يمكنه من متابعة العمل في مختلف الأنشطة .

معنى هذه الأرقام :

يتضح من هذه الأرقام أن هناك ترابطًا واضحًا بين كون الشعب متقدمًا وكونه قارئًا ، وقد يقال إن الشعب تقدم أولا ثم بدأ يقرأ . ولكن هذا القول يجيء مخالفًا لمنطق الأشياء ؛ إذ المعقول أن الشعوب تتعلم ، ثم تسخر العلم في تحقيق التقدم .

إن القراءة تنمي الفرد ، والفرد ينمي المجتمع ، ولن تكون تنمية بغير قراءة . فالقراءة هي جهاز الاستقبال الذي يفتحه القارئ على الدنيا فيغترف بعينيه ما فيها من جديد . والفرد الذي لا يقرأ يوقف التيار

الفكرى الذى يربطه بالعالم ، ويحكم على نفسه بالعزلة ، وعلى عقله بالجمود ، وعلى ملكاته بالتحجر .

إن القراءة هى التى علمت الناس كيف يحلقون ذقونهم بالشفرات ويغسلون أسنانهم بالمعجون والفرشاة ، ويقطرون الدواء فى عيونهم إذا أصابها التهاب أو ألم بها غبار . وهى أيضًا التى نشرت بينهم عادات التدخين وشرب الخمور وسباق الخيل وغشيان الملاهى ، لقد أصبحت القراءة معلم الجمهور الأول ، حتى ليتعذر تصور الحياة بدونها . فكيف يعرف الناس أن السير على اليمين مطلوب إذا لم يقرءوا أن هذا يحقق مصلحة شخصية وعامة ؟ وكيف يدركون القطارات والسفن والطائرات إذا لم يقرءوا مواعيد قيامها ؟ بل كيف يتعاونون مع الهيئة الحاكمة ومع بعضهم بعضًا إذا لم يقرءوا ويفهموا ما هو مطلوب منهم فى هذا الشأن ؟ إن الحكومات لا تستطيع أن تحصل من شعوبها على التلبيات المطلوبة إذا لم تكن هذه الشعوب قارئة ، حتى ليصح القول بأن تكوين الدول صعب التصوّر بغير قراءة .

والذى يقرأ يقوم بعملية لازمة لزيادة كفايته الشخصية على حل مشاكل الحياة . وهو يضفى من زيادة كفايته على تحسين عمله ، فيلقى من التقدير ما يفتح له أبواب النجاح .

إن القراءة تمتاز فى هذا على معلم الفصل . فهى تعلم بالجملة وهو يعلم بالمفرق (القطاعى) . وهى لا تفرض نفسها على طلبتها وهم جمهور الشعب ، وإنما تقدم لهم الصحيفة أو الكتاب المختار كلما اشتاقت

نفوسهم إليه ، فى حين يحدد المعلم موضوع الدرس ووقته ومكانه ، ثم يصبه على طريقته الخاصة فى آذان التلاميذ ، ويفرض عليهم الإنصات ساعة من الزمان أو أكثر وهم جلوس على مقعد خشبى .

وكما يكون البيع بالجملة أرخص منه بالمفرق يكون التعليم بالقراءة أرخص منه بالتدريس . وإذا كانت المدرسة لا تستغنى عن الكتاب ، فإن الكتاب قد يستغنى عنها . وكبار المفكرين من أمثال عباس محمود العقاد وكامل الشناوى لم يستمدوا من المدرسة إلا أقل القليل ، ثم بقى الكتاب فى أيديهم يؤاخيهم ويشترك معهم فى أفراحهم ومآسيهم ، بل يدخل معهم إلى بيوتهم ومخادعهم . وبهذه الصداقة التى نشأت بينه وبينهم وترعرعت على طول الزمان ، تغلغل الكتاب برسالته فى أعماق نفوسهم فسار فى خباياها وغيّر فى مكنونها .

لقد كانت القراءة فى عهد اليونان سبيلا إلى الترف الذهنى والأحاديث الجذابة ، فأصبحت اليوم منبعًا للمعرفة ، منها نتعلم كيف نسعف المريض ، ونصلح السيارة ، ونربى الطفل ، ونسوّق السلع ...

إن القراءة هى التى تأخذ بأيدينا اليوم إلى إنتاج أكبر ، وحياة أفضل .

كانت مبدأ ثقافيًا ، فأصبحت أيضًا مبدأ حسابيًا .

السيد أبو النجا

عــادل الغضبان



الكتاب

إن الكتاب فى تحديده المادى هو مجمع الحروف والكلمات وفى تحديده المعنوى هو الوسيط بين ذهنين ينقل من هذا إلى ذاك عصارة الفكر وخفقة القلب ويجعل بين الكاتب والقارئ مشاركة روحية يختلف أثرها باختلاف قوة طرفيها .

وشأن الكتاب فى ذلك شأن اللوح الفنى تتباين قيمته الفنّية بتباين العيون التى تراه والنفوس التى تستوعبه .

وكل ما نقل إلينا معنى من المعانى أو صورة من صور الجمال أو هزّ فينا كامن الإحساس والعاطفة يصحّ أن يسمى كتابًا . فالشفة المضطربة عند الغضب أو الخجل والعين الفصيحة النظرات عند الحب أو الكراهية كتاب نطالع فيه سطورًا خطّها القلب من وحيه . ثم إن مجالى الطبيعة المتمثلة فى روض أنيق ونهر دافق وصبح بسام وليل كالح حروف وكلمات تنقل إلينا ما انطوى تحتها من معان وأسرار .

فأقدم الكتب إذن هو هذا الكون الذى ألفه الخالق وما برح الناس على مدى الأزمان يقرءون سطوره ويتملّون معانيه ويتلقّون عنه الوحى يسمو بأرواحهم إلى عبادة ربّهم الذى علّم بالقلم .

وشاء الله بعد ذلك أن يوحى إلى عباده بآيات الهداية والرشاد فكان الكتاب مجموعة وصاياه إليهم خطّوها على ألواح من الحجر وعلى رقّ الحيوان وأوراق البردى ثم خطّوا على هذه الصفحات كلها علومهم وآدابهم الإنسانية . ولعل أقدم الكتب التى صنعها البشر ووصلت إلينا أخبارها كتب الأموات عند المصريين وكتب مصاير روما .

وتأنق القوم على مدى العصور بالكتب فاستخدموها سجلات للشرف وأشهرها سجلّ مدينة البندقية المتضمن أسماء نبلائها وأعيانها غير أن الكتب كالبلاد والعباد فهى تسعد وتشقى حسبما تكتبه لها السماء من سعادة حظ أو شقاوة جدّ فقد كان مصير هذا السجلّ الإحراق علانية بعد خمسة قرون كان فيها معجم السادة والأشراف .

ولقد كان للكتاب شأن وأىّ شأن فى جميع العصور فهو حرز لا يتداوله إلا الكهنة وخدّام المعابد والهياكل ثم هو شىء نفيس لا يقتنيه إلا الأمراء والزعماء ثم هو أداة للتثقيف والتهذيب تزخر به المكتبات العامة والخاصة يحتفى به طلاّب العلم أولئك الذين تضع الملائكة أجنحتها لهم . فهذا « كسرى أنو شروان » يقع له خبر كتاب « كليلة ودمنة » فلا يقرّ له قرار حتى يبعث « برزويه » إلى بلاد الهند لاستخراج الكتاب من خزائنها وإقراره فى خزائن « فارس » . وهذا « المهلب » يقول لبنيه : يا بنىّ إذا وقفتم فى الأسواق فلا تقفوا إلا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب . وهذا « الجاحظ » يصف « محمد بن إسحق » أمير بغداد يوم دخل إليه وهو معزول ورآه جالسًا فى خزانة كتبه بين الكتب والدفاتر

فيقول : ما رأيته أهيب منه فى تلك الحال . وهذا « الصاحب بن عباد » يسافر من بلد إلى بلد ومعه حمل ثلاثين جملاً من الكتب وعندما يعرف أن « سيف الدولة » دفع ألف دينار ثمن كتاب الأغانى يستقلّ الثمن . وهذا « المتنبى » يشهد بأن خير جليس فى الزمان كتاب . وهذان أميران فى أمراء الغرب يبرمان معاهدة بينهما ويشترط أحدهما فيها على الآخر أن يظفر منه بمخطوط من مخطوطات المؤرخ « تيت ليف » . وهذا « شوقى » يقول فى أحد مطالعه :

أنا من بدّل بالكتب الصحابا   لم أجدْ لى وافيـا إلا الكتابا

ولئن وقف بعض علماء اللغة عند هذه الباء الداخلة على غير المتروك لقد آثر « شوقى » الكتب على الصحاب إذ وجدها لا تنقض عهدها ولا تخفر ذمامها . هذا والمفكرون فى الشرق والغرب قد أجمعوا على عدّ الكتاب صديقًا وفيا ظريف العشرة نافع الحديث مأمون الغيبة . أما « مرسيل بروست » فيرى أن الكتاب أفضل من الصديق وأنفع من حديث الحكماء ذلك بأن السكون الذى يحيط بنا عند القراءة يحفظ علينا تفكيرنا قويًا سليمًا بعيدًا من مؤثرات المتحدّث فالسكون إذن ضرورى لكل ما يثير فينا الفتنة والتفكير والإعجاب ، كما أن اللوح الفنى لا نستطيع إدراك أسراره إلا إذا تأملناه منفردين .

والحديث عن الكتاب يجرّ إلى الحديث عن القراءة . فالقراءة فى عرف « ڤاليرى » رذيلة لا يعاقب عليها وفى عرف « ديكارت » حديث مع شرفاء القرون الماضية وفى عرف « أندريه موروا » فن من الفنون . ولكلّ

من هذه التعريفات وجاهتها فرذيلة القراءة كما بسطها « موروا » فى كتابه « من فنون الحياة » متوافرة فى أولئك الذين يدفعهم الجشع إلى قراءة كل ما تقع عليه أنظارهم لا يريدون بها الوقوف على الآراء والأفكار بل على صفوف من الكلمات تخفى عنهم حقيقة العالم وحقيقة نفوسهم كمدخن الأفيون لا يلتمس من وراء تدخينه إلا الهرب من عالم الحقيقة إلى عالم الأوهام والأحلام . على أن قراءة المتعة هى التى يتفقد فيها القارئ صور الجمال ونزوات العاطفة وغريب الحوادث فى حين أن قراءة الفائدة هى التى يبحث فيها القارئ عن مستكملات ثقافته وعناصر تهذيبه .

ومهما أوتى الإنسان من عبقرية فقد تجفّ نضارتها فيه إن لم يتعهدها بريّ القراءة وقديمًا حفل الرومان بالقراءة العلنية فكان العبد يقرأ لسيده بصوت عال وكان العالم أو الأديب إذا فرغ من تأليف كتاب من الكتب قرأه على نخبة من قومه قبل نشره وبقيت هذه العادة مستحكمة طول القرن الأول بعد الميلاد وقيل مثل هذا فى حوليات « زهير بن أبى سُلمى » وجرى مثله فى أندية الغرب الأدبية . ولئن كانت القراءة فنًّا من الفنون إنها كذلك مصدر الإيحاء إلى الفن ففى متاحف « اللوفر » و « بركسل » و « لكسمبرج » ألواح فنية لأمهر الرّسامين تمثل القراءة والقارئين .

إن الكتاب العربى اليوم على تنوع موضوعاته واختلاف قيمه أصبح فى متناول كل قارئ والشعوب العربية على تفاوت عدد المتعلمين فيها قد أقبلت على القراءة إقبالاً سيزداد يومًا بعد يوم والمؤلفين العرب نشاطهم فى التأليف مشهود ملموس ودور النشر قديمها وحديثها ملحوظة العناية

بنشر الكتب فلم يبق إلا أن يعرف القارئ كيف يختار قراءاته معرفته اختيار أصدقائه .

والشعر ولا شك صديق حميم فهو أنيس الروح ونديم القلب وجناح الفكر يجلو للقارئ مواطن السحر والجمال ويحرّك فيه كوامن الشعور ويرقى بفكره على أجنحة الخيال إلى مصادر الإلهام فيسير به فى شعابه المتألقة بالنور والضياء متنقلاً من روعة إلى روعة ومن عجب إلى عجب .

وللشعر مفاخر ومآثر ألممنا ببعضها فى حديث متخيَّل أجريناه بين الشعر والقارئ ونظمناه فى القصيدة التالية :

الشعر والقارئ

تجلى الشعر للقارئ ذات مساء فى صورة غادة حسناء متشحة بالنور فجرى بينهما هذا الحوار :

الشعر

يَا صَدِيقِي وَصِنْوَ نَفْسِي سَلاَمَا — مُعَطَّرَ النَّشْرِ
جُزْتُ فِي مَهْبِطِي إِلَيْكَ الْغَمَامَا — وَمَعْقِلَ النَّسْرِ
أَنَا رَوْحُ النُّهَى وَرَاحُ النَّدَامَى — وَرَوْضَةُ الْفِكْرِ
إِنْ أَرَدْتَ الْحَيَاةَ أَحْلَى ابْتِسامَا — مِنْ بَسْمَةِ الْفَجْرِ
فَاحْسُ مِنْ رُوحِ كَرْمَتِي الإِلْهَامَا — وَاسْكَرْ بِلاَ خَمْرِ

تَحْيَ فِي غِبْطَةٍ وَتَسْعَدُ عُمْرَا

د . إسماعيل صبرى عبد الله



القراءة والعلم

إذا قال المرء : « بالعلم تتقدم الأمم » أشاح البعض استهزاء ، وتبسم البعض الآخر فى تسامح ، ولسان حال الجميع : أنت تردد عبارة مأثورة شائعة بين العديد من مثيلاتها التي تزدهر بها « حدائق الإنشاء » .

ومع ذلك كم واحدًا منا يتأمل هذا القول المردّد ويتمثل مغزاه البعيد ؟ وكم واحدًا منا يمارسه خارج نطاق التعلّم والتخصص حيث يختلط طلب العلم بطلب الرزق ، وحيث تكون المعرفة المحددة مهنة مميزة ينتمى أصحابها إلى « كادر » وتجمعهم نقابة ؟ ولا شك أن الدهشة لابد أن تتملك الكثير من الناس إذا بلغهم أن آخر ما وصل إليه علم الاقتصاد فى تعبيراته الدقيقة والمعقدة وفى ختام تحليلات رياضية راقية ورائعة ، يلتقى تمامًا مع الحكمة السائرة والعبارة المأثورة . فعلماء الاقتصاد يبرزون اليوم أن المعرفة بجوانبها الثلاثة : الثقافة والعلم والتكنيك ، هى العنصر الاستراتيجى فى التنمية الاقتصادية . فتوافر الثروات الطبيعية لا يكفى لإثراء الأمم ورفع مستوى معيشة الشعوب . فتلك الثروات فى الأرض منذ أن وجدت الأرض ، وبالعلم وحده أمكن أن يضع بطن الأرض بعض ما تحمل فى أحشائها ، وأمكن أن يشكل الإنسان مما تضعه من صلب وسائل متاعًا هو بهجة حياته الحديثة .

بل إن المال – أو رأس المال – لا يحدث بذاته التنمية . فكم من ملك عمرت خزائنه بأموال قارون وشقى شعبه وانهار ملكه ! إن العنصر الفعال الذى يخرج الثراء من الأرض ويحوّل المال من موات الخزائن إلى دم حى يسرى فى عروق الاقتصاد حيوية ونشاطًا هو عمل الإنسان . ولكن قوة الإنسان العضلية محدودة ، إنه أبعد ما يكون عن أن يكون أقوى حيوانات الغابة .

ولو كانت القوة المادية وحدها هى الحكم لانقرض البشر من على سطح الأرض كما انقرضت من قبل طوائف كثيرة من الحيوان كانت تبزه جسدا . إن ما يميز الإنسان عن كل الكائنات التى تحفل بها الأرض أمران على أعظم قدر من الأهمية : العقل ، أى القدرة على المعرفة ، على استخدام المدارك الحسية بطريقة منظمة والربط بينها بعلاقات معينة بعكس الحيوان الذى يتحرك بالغريزة وحدها ؛ والمجتمع الذى لا يعيش الإنسان إلا به ، والذى بفضله تصبح المعرفة ظاهرة اجتماعية يشارك الجميع فى تكوينها فتصبح حصيلتها أعظم من أى معرفة فردية فى الوقت الذى يستطيع فيه كل فرد أن يستفيد من مجموع ما حصله المجتمع . فبهذه المعرفة الجماعية يستطيع الإنسان أن يضفى على قوته العضلية المحدودة أضعاف أضعاف ما لها من فعل ، فيحوّل الأنهار ويحرّك الجبال ويستطى البحر والجو – حتى إذا ضاق عنه البر والبحر والجو جميعًا ملأ الفضاء سفينا .

وليس الأمر فى هذا بمقصور على تلك الشعوب التى تعانى الفقر والتخلف . بل إن أعظم الدول تقدمًا تدرك اليوم أكثر من أى وقت

مضى أن المعرفة هى الأساس الصلب الذى قامت عليه حضارتها وانبنى تقدمها وتفوقها .

وهذا التقدم نفسه بما أفضى إليه من إطلاق قوى جبارة من أصغر الكائنات وإحداث صناعات جديدة يقتضى العمل فيها من أبسط عامل قدرًا كبيرًا من المعرفة ، قد جعل تطوير المعرفة بشكل مستمر والعمل على نشرها على أوسع نطاق أمرًا لا غنى عنه لاطراد التقدم . ولم تعد تلك الدول تقنع بجهدها الخاص ، بل سعت إلى تنظيم التعاون فيما بينها أحيانًا ، وأخذت تتصارع فى ميدان العلم أحيانًا أخرى . ومن المعروف أن النهضة الصناعية الحالية فى الولايات المتحدة الأمريكية قد استفادت إلى حد كبير من هجرة مئات العلماء من أوربا فرارًا من النازية والفاشية . ومن المعروف أن دول أوربا الشرقية والصين قد بذلت كل جهد لاسترداد علمائها الذين كانوا قد استقروا فى دول الغرب . وكلنا يذكر الضجة التى اهتزت لها بريطانيا على أثر هجرة عدد كبير من علمائها إلى الولايات المتحدة ... وفى هذا يقول بعض الاقتصاديين : إن الصراع بين الدول الكبرى حول العلم والعلماء قد احتل اليوم المحل الذى كان للصراع حول مصادر المواد الأولية فى القرن الماضى .

العلم ثمرة الجهد الاجتماعى :

وقد يظن البعض أن محور الحديث كله هو العالم الفذ الذى يبز أقرانه جميعًا ويصل إلى كشوف تعتبر فتحًا جديدًا ويمكن أن تظل أسرارًا تحوطها الدولة بسياج من الغيرة . ولكن هذا الظن لا يعدو أن يكون

نظرًا سحطيًّا للأمور . فالكشوف العلمية ليست ظواهر قدرية يلهمها الموعودون . إن كل كشف علمى هو ثمرة جهود مضنية بذلها العلماء من مختلف البلدان جيلاً بعد جيل ، ثمرة لا يمكن تصورها بغير الشجرة التى تزهر على أغصانها وبدون ما لها من جذور عميقة تتشعب فى المكان وتضرب سحيقًا فى أبعاد الزمن . بل إن العالم الفذ اليوم ليس إلا قائد فصيلة من الباحثين يجهدون جميعًا ويكدون ويبذلون فى خدمة العلم حياتهم . ومن ناحية أخرى يقوم البحث العلمى على الاستعانة بأجهزة معقدة كما يستلزم نفقات باهظة . والمجتمع هو الذى يوفر هذه وتلك ، وهو لا يقدر على هذا إلا إذا بلغ مستوى معينا من التقدم الثقافى والاقتصادى . وكثيرًا ما يهاجر العالم من بلد إلى بلد ، لا سعيًا وراء كسب مادى ، ولكن لأن البلد الذى يهاجر إليه يوفر له إمكانيات البحث . إن الجو الثقافى العام المتقدم ونشاط الأبحاث العلمية فى مجموعها والاهتمام بالعلم والعلماء ، هى عناصر البيئة الصالحة لانبثاق الكشوف العلمية . ومن ناحية أخرى ، إن أعظم الكشوف العلمية يمكن أن يظل أعجوبة عقلية إذا لم يرتبط بتقدم حضارى عام يجعل من الممكن تحويل نتائجه إلى تكنيك يغير وجه المجتمع . لقد اكتشفت الصين فكرة الطباعة قبل جوتنبرج بعدة قرون فلم تستخدمها إلا فى صناعة « أوراق اللعب » ، فى حين أدى اكتشاف جوتنبرج[1] إلى ثورة ثقافية هزت المجتمع الأوربى من جذوره ... وخلاصة هذا كله هو أن المعرفة ظاهرة اجتماعية ، والعلم ظاهرة اجتماعية ، وأن التقدم الحضارى لا يمكن أن يكون نتاجًا لجهد

قلة من العلماء الأفذاذ - لو تصورنا إمكان وجود هذه القلة فى بلد متخلف - وإنما هو دائمًا ثمرة تطور ثقافى عام إن لم يشمل المجتمع بأسره فهو يشمل على الأقل أغلب أفراده .

اكتشاف القراءة :

المعرفة إذن هى محرك التقدم . ووعاء المعرفة هو الكتاب . والسبيل إلى المعرفة هى القراءة . لقد اتفق رأى العلماء على أن يقسموا حياة البشر على سطح الأرض إلى فترتين . فالفترة الأولى امتدت عشرات الألوف من السنين ، ويطلق عليها اسم ما قبل التاريخ . أما الفترة الثانية فلا يعدو عمرها الآلاف القليلة وهى وحدها التى يتكون منها التاريخ . والحد الفاصل بين التاريخ وما قبل التاريخ ، الحد الفاصل بين الحضارة وما قبل الحضارة على نطاق الأرض كلها بشعوبها وأجناسها وأجوائها المتعددة والمتنوعة ، ليس موقعة حربية عظمى ، وليس مولد إمبراطورية أو انهيارها ، وليس حدثًا طبيعيًّا كزحف الجليد أو تراجعه ، وإنما هو حدث حضارى محض : اكتشاف الكتابة ، أو بعبارة أخرى اكتشاف القراءة .

ولم يقع الاختيار على هذا الحدث دون غيره كفيصل بين ما قبل التاريخ وبين التاريخ بالتأسيس على اعتبارات عملية خالصة تتمثل فى أن الكتابة مكنت الشعوب التى عرفتها من أن تترك لنا حديثًا عن حياتها كما عاشتها وكما تصورتها ، فى حين أن عالم الآثار وعالم الأجناس أو غيرهما من

العلماء يتعين أن يستنطقوا الآنية والأثافى ويؤولوا ما ينقبون عنه من رسم دارس ليلقوا قليلا من الضوء على حياة الشعوب فيما قبل التاريخ . فالحديث المكتوب ليس بالضرورة حديثًا غير مكذوب ، وتوافره لا يغنى العالم المحقق عن أن يمتحن صدقه بالمقارنة بين محتواه وبين ما تحكيه أطلال المعابد أو ترويه آثار البلاد المجاورة . وتقدم وسائل البحث العلمى ، وبصفة خاصة استخدام الأشعة والتحليل الكيميائى ونتائج أبحاث علم الأجناس المقارن وعلم الإنسان ، تجعل اليوم الكثير من أسرار المجتمعات البائدة فى متناول الباحث ...

إن الدلالة الحضارية لاكتشاف الكتابة دلالة ذات أبعاد ضخمة ومتعددة ، إنها تمثل بحق بدء مرحلة حضارية مختلفة جوهريًا عن كل ما سبقها .

المعرفة سجل مفتوح :

بالكتابة أخذ الإنسان يدوّن على الحجر هشًا أو صلبًا ، وعلى جلد الحيوان ، وعلى أوراق النبات ، وعلى ما صنعت يداه من نسيج صوف أو كتان ، محصوله من المعرفة : ما تلقاه مشافهة عن السلف ، وما تعلمه من تجربته ، وما هداه إليه تفكيره . وبالقراءة لم يعد فرضًا على كل إنسان (أو كل جماعة من البشر) أن يبدأ معرفته من الصفر ، بل أصبح بوسعه أن يستأنف من حيث انتهى من سبقه . وهكذا أصبحت المعرفة البشرية نسيجًا متصلاً عبر القرون ، يتعاقب النساجون وتتفاوت مهارتهم ،

ويتباينون تقليدًا وإبداعًا ، ولكن النسيج لا ينقطع أبدًا ما دب على سطح البسيطة بشر .

بالكتابة والقراءة أصبحت المعرفة البشرية سجلا عظيمًا . طالعته عبر التاريخ شعوب عديدة ، كان لبعضها فضل تسطير صفحات منه أو أبواب كاملة . أخذ اليونان عن حضارة مصر والشام وما بين النهرين بل فارس والهند ، ثم أثروا هذا التراث فى عبقرية ، وكانت مدينة الإسكندر هى البوتقة التى انصهر فيها كل ذلك وخرج منها أعظم ما خلفه لنا العالم القديم . ثم أخذت روما عن مدرسة الإسكندرية وزادت على ما أخذت ونشرت تلك الحضارة فى حوض البحر الأبيض المتوسط كله . ثم دخل العرب تاريخ البشرية كشعب يتميز بقدرة فائقة على تمثل الحضارات وهضم الثقافات يبنى حضارة تمتزج فيها الشعوب فى ظل مساواة لم يعرفها مجتمع قبله فينشط الجهد الثقافى ويزدهر البحث العلمى . ومن تعاليم الإسلام وثقافة اليونان وفارس والهند يقدم العرب للعالم كنوزا جديدة من المعرفة . والأمر الغريب الذى ينبغى أن نتأمله هو أن ثقافة اليونان التى لعبت دورا عظيمًا فى تقدم الفكر والبحث عند العرب كانت فى خزائن بيزنطة التى أحدث دولتها فى الانهيار . وعندما سقطت مدينة قسطنطين فى يد محمد الفاتح ووفد علماؤها بمخطوطات الإغريق إلى أوربا ، كانت هذه الثروة الفكرية هى الزاد الثقافى الذى ترعرع عليه عصر النهضة . وليس أدل على ذلك من أن الثقافة إذا ظلت محفوظة لدى قلة بمعزل عن حركة المجتمع فإنها لا تغنيه ولا يغنيها ، بل تبقى كأحجار كريمة فى جوف قبر يعلوها التراب .

الكتاب العلمي العربي :

ولقد فعلنا نحن العرب صنيع أهل بيزنطة ، فتركنا جانبًا الدرر التي خلفها لنا أسلافنا الأمجاد . وأحرق الحكام كتب ابن رشد في حين ولدت الفلسفة الأوربية من جديد عن يد تلميذه القديس توماس الأكويني . ولم يجد الخوارزمي وابن الهيثم والبيروني والشريف الإدريسي وابن حوقل وجابر بن حيان وابن خلدون طوال بضعة قرون الخلف الصالح الذي يوالي أبحاثهم عن الرياضة والفلك والجغرافيا والفيزياء والكيمياء . ولقد دفعنا ثمن ذلك غاليا : قرونًا من الظلام والتخلف أصبحنا بعدها عالة على غيرنا .

واليوم ونحن نحاول أن نسترد مكاننا بين شعوب العالم لابد أن نذكر دائمًا أن حضارة العرب كانت قائمة على الثقافة والعلم ولم تكن قائمة على السيف ، وإلا ضاع ذكرها كما ضاع ذكر غيرها من الإمبراطوريات التي قامت على السيف وحده فما إن فل حده حتى طواها التاريخ في نسيان مطبق .

نعم ، إن عملنا الوطني والقومي لابد أن يتسلح بالعلم ، فنحن نريد أن نبني الصناعة ، ولا يمكن أن نعتمد بشكل دائم على الخبرة المستوردة والآلة المستوردة . فلن يستقر بناؤنا الصناعي على أسس متينة إلا حين يكون لدينا عمالنا المهرة ومهندسونا الأكفاء وعلماؤنا المجددون ، لأنه بهؤلاء جميعًا نستطيع أن نبتكر ونبدع ، وأن نطوّع فنون الإنتاج الصناعي لظروفنا وألا ندفع للعالم المتقدم جزية تخلفنا في شكل أجر خبراء ومقابل

براءات اختراع وأثمان آلات لا نستطيع إنتاجها محليًّا . ونحن نريد أن نطور الزراعة لنخرج بها من طابعها الرتيب الذى تأخر عن سير الزمن . ولا سبيل لذلك إلا بالعلم وفنون الإنتاج الحديثة . ونحن نريد أن نقيم مجتمعًا اشتراكيًا ونناضل من أجل الوحدة القومية . ولكن يجب أن نتذكر تلك الحقيقة التى أشار إليها الرئيس جمال عبد الناصر فى أكثر من مناسبة : إن الثورة علم ، هى علم التغيير الاجتماعى .

نعم ، علينا أن نتعلم وأن نستزيد علمًا بنفس الإصرار الذى يبديه الجندى الباسل حين يدافع عن الوطن أو العامل الواعى حين يدفع بعجلة الإنتاج . فالعلم بالنسبة لنا ليس ترفًا بل إنه سلاحنا الأساسى فى معركتنا الوطنية والقومية والاجتماعية . وليس العلم هو وحده ما تقدمه لنا المدرسة ، بل إننا لا نغالى إذا قلنا إن المدرسة تعلمنا كيف نتعلم . إن الكتابة مخزن المعرفة ، والقراءة مفتاح بيت الكنوز هذا . ومعنى ذلك أن القارئ العربى عليه ألا يقنع بما لقنه المعلمون والأساتذة . عليه أن يتذكر فى حدود تخصصه أنه « ما زال أحدكم عالما ما طلب العلم ، حتى إذا ظن أنه علم فقد جهل » وعليه أن يتذكر أن التخصص وإن عمق معرفته بجزء من العالم يحد أفقه ولا يجعل منه مثقفا له المدارك العقلية الواسعة التى لابد منها حتى يصبح فى تخصصه عالما مبرزا .

إسماعيل صبرى عبد الله

د . جمـال الدين العطيفى



القراءة والرأى العام

الصلة وثيقة بين القراءة والرأى العام . فالرأى العام الذى يعبر عن فكرة تسيطر على جماعة معينة ويحس أفرادها بأن هذه الفكرة تربطهم جميعًا . يتولد نتيجة القراءة .

وهذا الرأى العام كان قائمًا فى جميع العصور . كان معروفا فى أثينا القديمة وفى روما حيث كان يعبر عنه بصوت الشعب . وفى المسرحية المعروفة « هنرى الرابع » أشار شكسبير على لسان هنرى الرابع إلى الرأى العام الذى ساعده على الوصول إلى العرش . والفيلسوف لوك اعتبر قانون الرأى أو السمعة ، قانونًا للمجتمع مثل القانون الإلهى والقانون المدنى . غير أن العصر الحديث بما استحدث من وسائل فنية للاتصال بالجماهير قد قوى فيه سلطان الرأى العام .

ورغم أن القراءة لم تعد هى الوسيلة الوحيدة لتكوين الرأى العام ، فإلى جانبها نشأت الوسائل الحديثة للاتصال بالجماهير مثل الإذاعة والتلفزيون والسينما - فإنها ما زالت أخطر هذه الوسائل . ويزداد تأثيرها بالقدر الذى تمحى به الأمية .

والكتاب بوجه خاص ، لا يزال أقوى وسائل التأثير . فالكتاب يبقى بين يدى صاحبه ، يطالعه على مهل وفى تؤدة وتأمل . وهو لا يف

عنه إلا وقد نشأت علاقة إنسانية بينه وبين الكاتب . إنه ليس كالكلمة المذاعة أو الصورة المرئية التى لا يمكن الاحتفاظ بها . إن الكلمة المقروءة تبقى دائمًا مع القارئ ، يتلوها ويعود إليها مردّدًا لها ، والإثارة فيها لا تفلح مثلما قد تفلح فى الكلمة التى تذاع أو فى الصورة التى تعرض ، لأنها تخاطب فى روية عقلاً هادئًا متأملاً يمكنه أن يميز فيما يطالعه بين الحقائق والأراجيف وبين الرأى الحر والرأى الفاسد ، وبين الدراسة الموضوعية والعرض المغرض . ولذلك فإن الكلمة المذاعة أو الصورة المرئية لا يمكن بمفردها أن تخلق رأيًا . إنها قد تثير الجموع وقد تعبر عن نزعات فطرية مثل الخوف أو الشفقة أو القسوة . ولكن الجموع التى تستمع إليها أو تراها لا تصدر عنها أحكام يمكن تنظيمها وربطها وخلق رأى محدد منها . بل هناك عواطف تموج قد تثور اليوم ، ثم تعود فتهدأ غدًا .

أما الكتاب فهو يخاطب عقل القارئ . إن صاحب الرأى لا يمكن أن يفرض رأيه بالقوة ولا تفلح فيه الإثارة ولكنه يدعو إلى قبوله بالمنطق والإقناع . فالقارئ حينما يجلس إلى الكتاب يتحول إلى ناقد يقلب وجوه المشكلة المطروحة عليه . ولقد يكون رأى القارئ من صنع الكاتب ، غير أنه لا يفقد استقلاله عن الكاتب . بل إنه كثيرًا ما يفرض ذوقه عليه .

إن جمهور الكاتب قد يكون أقل انتشارًا ولكنه أكثر ثباتًا . وأفراده وإن كانوا لا يعرفون بعضهم ، فإن مجموعة من الأفكار التى يبشر بها الكاتب قد تجمع بينهم . والرأى يجعل من هؤلاء القراء جمهورا .

فالقراءة هي الوسيلة التي يتكون بها الرأي العام ، والكتاب أداة لتوجيه هذا الرأي العام . فهو ينبهه ويحرك مشاعره ويفرض عليه منطقه .

فكتاب دار المعارف يصل إلى قرائه بسرعة في أي مكان في العالم فيولد نوعًا من التوافق في الأفكار . ففي عصر الجماهير الذي نعيش فيه لا يمكن إغفال أهمية الدور الذي يقوم به الكتاب في توجيه الرأي العام . ومن هنا ينشأ ما يمكن تسميته بفن العلاقات الإنسانية حيث يلعب الاتصال والإقناع دورًا بارزًا .

وإذا كانت زيادة توزيع الكتاب هي التي تخلق الرأي وتدعمه وتمده إلى آفاق عالمية ، وإذا كان الرأي العام هو الجهاز الذي تقاس به القيم الاجتماعية ، فإن هذا الجهاز يجب أن يكون مصونًا من العوامل المصطنعة . ومن هنا تأتي مسئولية الكاتب والتزامه . إن قارئه قد يتحول إلى ناقد له . كما تأتي مسئولية الناشر . إن الناشر ليس مجرد طابع أو موزع ، وليس الربح هو هدفه . ولكن الربح هو المقياس الذي يقاس به نجاح الكتاب ويحصى به جمهور قرائه . فلا قيمة لرأي لا يجد قارئًا . ولكن يجب ألا يفهم من ذلك أن جمهور أي كاتب هو كل جمهور القراء . فلا يشترط في الرأي ليكون عامًّا أن يكون رأي مجموع الشعب . بل إن الرأي العام قد يتولد بين فئة متخصصة . ولا يقدح اقتصار القراءة على هذه الفئة في قيمة الكتاب أو الرأي .

ولكن الرأي العام قد يتسع فيشمل أكبر عدد من القراء ... بل إنه قد يصبح رأيًا عامًّا عالميًّا . وفي هذه الحالة يخاطب الكتاب القارئ

العادى ولا يتطلب التخصص . إن قارئه قد يكون عاملاً أو فلاّحًا أو جنديًّا أو مثقفًا أو طالبًا أو ربَّة بيت ... وفى ميدانى الثقافة العامة والثقافة المتخصصة ، يلعب الكتاب دورًا هامًّا فى خلق الرأى العام .

وإذا كنا لا يمكن أن نتصور الرأى العام إلا بين القراء البالغين ، فيجب ألا نغفل عن أهمية القراءة بالنسبة للصغار والناشئة . إن الصغير يتقبل ما يطالعه على أنه من المسلّمات وينفعل له ويتأثر به . وهو فى سنه الصغيرة لا يمكنه أن يصدر حكمًا على سلامة الرأى الذى يعرض عليه .

ويكبر الصغير وتنمو مداركه ، ولكن الآراء والأفكار والحكايات الصغيرة التى طالعها فى طفولته تظل عالقة فى ذهنه ، وهى بذلك تلعب دورًا هامًّا بطريقة غير مباشرة فى تكوين الرأى العام للجيل الجديد . ومن هنا كانت مسئولية كتاب الأطفال ، أشد خطورة فى التزام قيم المجتمع والمبادئ التى يسعى إلى تحقيقها .

إن الكتاب الرشيد الملتزم يولد رأيًا عامًّا رشيدًا ملتزمًا . إنه لا ينحرف ولا يخلق ولا يفرق . بل إنه يناقش وينقد فى موضوعية جادة .

جمال الدين العطيفى

متى وكيف وماذا نقرأ ؟

القراءة تمد العقل بمادة المعرفة .. ولكن التفكير هو الذى يجعل ما نقرؤه ملكًا خاصا لنا ! »

(جون لوك)

القراءة .. أهى ترف ، أم ضرورة ؟

كم كتابًا ينبغى للمثقف أن يقرأ ، كل عام ؟ .. وكم دقيقة يستطيع أن يقرأ ، كل يوم ؟

ما هى الكتب – العربية ، والإفرنجية – التى لا غنى للمثقف عن قراءتها ؟

ما هى أجدر الكتب العالمية - من جميع العصور - بالقراءة ؟

هل الترجمة فن ؟ وهل هى « أقل » قيمة ، وجهدًا ، من التأليف .. أو « أكثر » ؟

أو ، بعبارة أخرى : لماذا تقرأ ؟ .. ومتى تقرأ ؟ .. وكيف تقرأ ؟ .. وماذا تقرأ ؟ ..

.. هذه بعض الأسئلة التى عنّ لى أن أطرحها للبحث فى هذا المقال ، وأن أحاول الإجابة عنها فى إيجاز ، بالقدر الذى يتسع له المجال ..

لمــــاذا تقرأ ؟

كل ما فعلته البشرية ، أو فكرت فيه ، أو ربحته ، أو كانته ، يرقد بين صفحات الكتب ، محافظًا عليه ، كأنما بواسطة يد سحرية ! »
(توماس كارلايل)

فوائد القراءة فى هذا العصر « العملى » الذى نعيش فيه ، كثيرة .. فأنت قد تقرأ ..

١ – كى تزجى – أو « تقتل » – وقت الفراغ ..

٢ – أو لتتقن حرفة ما ..

٣ – أو لتنسى همومك ، وتهرب من نفسك ..

٤ – أو لتعيش أحلامك التى عجزت عن تحقيقها فى حياتك ..

٥ – أو لتذكى خيالك وتختبر ذكاءك بالكتب المثيرة والقصص البوليسية ..

٦ – أو قد تقرأ لمتعة القراءة فى ذاتها ، إذا كنت تعشقها ..

٧ – أو تقرأ لتوسع مداركك ، وتكتسب ما نطلق عليه لفظ « الثقافة » بشتى مفاهيمها ..

٨ – أو لتنمى شخصيتك وتغدو مرموقًا فى المجالس ، جذاب الحديث ..

٩ – وأخيرًا ، ليس آخرًا ، فأنت تقرأ لتزيد فهمك للإنسانية ..

.. ومن ثم يتسنى لك أن تقيم علاقاتك مع الناس على أسس السلام والمحبة .. فإن ما تخرج به من قراءاتك فى الكتب الجيدة ، من أن الناس جميعًا سواء ، فى جميع الأقطار والعصور ، يجعلك أميل إلى أن تسلك مع أصدقائك ، وجيرانك ، ومخالطيك ، مسلكًا ينطوى على التسامح ، حين تصادف بينهم شخصيات شاذة شبيهة بـ « الأب جوريو » ، أو « سيلاس مارنر » ، أو « ليدى ماكبث » .. إلخ .

متى تقرأ ؟

« هناك كتب تستحق أن يذوقها القارئ ..
وكتب تستحق أن يلتهمها .. وكتب تستحق أن تمضغ وتهضم ! »
(فرنسيس بيكون)

قد تقول : ولكن عملى ومطالب حياتى لا تترك لى وقتًا للقراءة .. وللرد على هذا الزعم « الوهمى » – أيًا كانت ضخامة مشاغلك ومسئولياتك – ألخص لك بحثًا ، مدعمًا بالإحصاءات ذات الدلالة البليغة ، نشره الباحث « لويس شورز » بعنوان : « كيف تجد وقتًا لتقرأ » – How to find time to read وفيما يلى أهم ما انتهى إليه من نتائج وإحصاءات :

• إذا كنت قارئا متوسطًا (عاديًا) ، فأنت تستطيع أن تقرأ الكتاب العادى بمعدل ٣٠٠ كلمة فى الدقيقة (لكنك لن تبلغ هذا المعدل ، أو تحافظ عليه ، إلا إذا قرأت يوميا ، بانتظام .. كما لن تحافظ عليه فى الكتب المتخصصة ، مثل العلوم ، والرياضيات ، والزراعة ، والشعر ، وكتب

الأدب ذات الأسلوب الذى يستحق وقفة تأمل كل حين .. أو أى موضوع علمى جديد عليك) .

« ومعنى هذه السرعة ، أن تقرأ ٤٥٠٠ كلمة فى كل ١٥ دقيقة .. فإذا ضربت هذا الرقم فى ٧ أيام ، تكون الحصيلة ٣١,٥٠٠ كلمة فى الأسبوع .. أو ١٢٦,٠٠٠ كلمة فى الشهر .. أو ١,٥١٢,٠٠٠ (مليون ونصف) كلمة فى العام ، نتيجة للقراءة مجرد ربع ساعة كل يوم !

« ولما كانت الكتب تتراوح فى العادة بين ٦٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ كلمة فى المتوسط ، فإن المحصول السنوى لقارئ « الربع ساعة فى اليوم » يكون عشرين كتابا فى العام !

« وقد جرب هذه الطريقة طبيب وعالم من أشهر أطباء العصر الحديث هو « سير وليم أوسلر » ، الذى تتلمذ عليه الكثيرون من أساطين الطب المعاصرين ، كما درس أطباء العالم كتبه المشهورة فى الطب .. وقد عزا عارفوه عظمته - فضلا عن تفوقه فى فنه الخاص - إلى ثقافته العامة ، البعيدة المدى ، فقد كان واسع الاطلاع على ما فعله الجنس البشرى .. وفكر فيه - خلال العصور المتوالية ، وكان يدرك أن السبيل الوحيد للوقوف على أفضل تجارب بنى الإنسان هو قراءة ما كتبوه فى كتبهم .. لكن مشكلته كانت هى مشكلة كل رجل مشغول ، لا يملك خلال الأربع والعشرين ساعة اليومية وقتا يخرج عن حدود عمله ، سوى ما يقتطعه من ساعات قليلة للنوم وتناول الطعام وتلبية مطالب الحياة الضرورية .

لكن « أوسلر » توصل إلى الحل الذى ينشده فى مرحلة مبكرة من حياته ، فنظمها على أساس أن يقرأ لمدة ربع ساعة كل ليلة قبل النوم مباشرة ، أيًا كانت الظروف ! .. فكان إذا أوى إلى فراشه فى الحادية عشرة مثلا ،يقرأ حتى الحادية عشرة والربع .. وإذا شغلته جراحاته أو أبحاثه حتى الثانية صباحا ، يقرأ إلى الثانية والربع ، وهكذا .. ولم يشذ عن هذه القاعدة التى وضعها لحياته يومًا واحدًا ، خلال نحو نصف قرن ! .. وكان الدستور الذى استنّه لقراءاته الليلية أن تكون منعدمة الصلة بمهنته وعمله ، فحصل من هذه القراءات على اطلاع واسع نادر المثال ، كفل التوازن فى شخصيته بين التثقيف المهنى والتثقيف العام !

وفى العالم كثيرون من أمثال هذا الطبيب الفذ ، نموا شخصياتهم بالقراءة فى غير نواحى عملهم أو تخصصهم .. وقد اشتهر الألمان بصفة خاصة بالإقبال على القراءة فى شتى الموضوعات ، ولعل هذا من عوامل تفوقهم وتعدد وجوه ثقافتهم وشمولها كافة مناحى المعرفة .

« ومن أمثلة الإقبال على القراءة - فى جميع الظروف — أن ملازمًا فى الجيش الأمريكى (خلال الحرب العالمية الثانية) لفت الأنظار بتضخم ملف خدمته بشهادات التقدير من رؤسائه ، والإعجاب بسعة اطلاعه ووفرة معلوماته ، حتى دفع الفضول أحدهم إلى تقصى أسباب هذه الظاهرة .. فتبين له أن الضابط المذكور كان ينتهز كل فرصة ليقرأ ، إلى درجة أنه كان إذا صدر إلى طابوره الأمر بالوقوف

فى حالة « انتباه » لبضع دقائق ، يخرج من جيبه كتابًا ليقرأ فيه ! .. وكان قد نمى فى نفسه – منذ صباه الباكر – عادة أن يحمل فى جيبه كتابًا صغيرًا ليقرأ فيه فى أية لحظة لا يجد فيها شيئًا آخر يفعله . وقد وجد فى هذه العادة متعة وفائدة ، وواظب على ممارستها فى كل فترات الانتظار التى يضيعها أكثر الناس هباء ، مثل فترات انتظار الأتوبيس ، والطعام ، والطبيب ، والحلاق ، والتلفون ، وحفلات السينما والمسارح .. إلخ .. وهى فرص تتيح لكل شخص أضعاف أضعاف الخمس عشرة دقيقة المطلوبة لقراءة عشرين كتابًا فى العام ، أو ألف كتاب فى نصف قرن !

.. ولو انصرف كل راكب أتوبيس أو ترام عندنا – من الجالسين على الأقل – إلى القراءة أثناء الطريق ، بدلاً من الاشتراك فى الأحاديث العقيمة ، أو الانحياز إلى أحد الطرفين فى المشادات ، أو التدخل فى شئون بقية الركاب ، لأراحوا واستفادوا !

.. كل ما يلزمك لتنفيذ هذا البرنامج شىء واحد : أن تتوفر لديك الإرادة ، أى الرغبة فى القراءة .. وعندئذ سيسهل عليك أن تجد ١٥ دقيقة من يومك تقرأ فيها ، مهما كانت مشاغلك ، بشرط أن تجعل الكتاب فى متناولك فى كل ظرف : ضع كتابًا فى جيبك حين ترتدى سترتك ، وكتابًا آخر بجوار فراشك ، وثالثًا فى الحمام ، ورابعًا فى غرفة المائدة ، وهكذا ..

كيف تقرأ ؟

« الكتب هى ثروة الدنيا المخبوءة ، وميراث الأجيال والشعوب ! »

(هنرى دافيد ثورو)

وقراءة الكتاب ، مثل تأمل اللوحة أو التمثال ، ينبغى لها ظروف معينة أو « عادات حسنة » لابد من مراعاتها فيها ، « وعادات سيئة » يحسن تجنبها ، كيما تتيح للقارئ أقصى متعة ، بأقل قدر من الجهد الضائع .. وقد أحصى الأخصائى « دونالد ماك كامبل » أهم هذه العادات « الحسنة » و « السيئة » فيما يلى :

• من العادات السيئة أو « العقبات » التى تعوق التأمل والقراءة المجدية : المعدة الخاوية .. والمعدة الممتلئة أكثر من اللازم .. وخير غذاء يؤهلك للقراءة المفيدة بعض الفاكهة . أما إذا تناولت أكلة ثقيلة ، فينبغى أن تنتظر ساعة على الأقل قبل أن تقرأ ، كى لا يصعد إلى رأسك الدم الذى يلزم بقاؤه فى المعدة ليساعد على الهضم .

• الإرهاق الجسمانى عدو آخر للتركيز اللازم أثناء القراءة .. فإن الطاقة الحرارية المطلوب توافرها أثناء القراءة الجادة ، تكاد تعدل الطاقة اللازمة للعبة رياضية خفيفة . على أن ذلك لا يعنى أن يقبل المرء على القراءة وهو فى حالة خمول تام ، بل يحسن أن يتمشى ولو قليلا فى الحجرة قبل القراءة ، كى يزيل الخمول عن جسمه وعقله معًا ، وينشط الدورة الدموية ، إذ كثيرًا ما يصيب خمول الجسم ذهن صاحبه بعدواه .

* ومن العقبات التى تعوق القراءة المجدية ، الشعور بالقلق ، أو الشوق الجنسى ، أو التوتر العصبى الناشئ عن الإمساك ، أو عن حاجة الجسم إلى شيء من الرياضة .. كما يلزم تجنب الضجيج أو المقاطعات المتكررة التى تفسد التأمل والاستغراق .. على أن توفير الجو الهادئ المريح ينبغى أن لا يغالى فيه ، كما فعلت تلك الثرية العجوز التى أعدت فى قصرها غرفة خاصة للقراءة ، بطنت جدرانها بالمواد العازلة للصوت ، وزودتها بأجهزة تكييف الهواء ، وبسائر أدوات الترف ومستلزماته .. فلما اكتملت لها كل أسباب الراحة ، فوجئت بما أفسد عليها كل تدبيرها : صارت لا تكاد تخلو إلى الكتاب فى صومعتها المثالية ، حتى يدهمها النعاس فى الحال !

* ولابد لممارسة القراءة من مقعد مناسب ، يتيح جلسة « مريحة » ، لا ينحنى فيها العمود الفقرى كالقوس أثناء انكباب القارئ على كتابه .. وينبغى أن تكون صفحة الكتاب موازية للوجه ، وعلى بعد نحو أربعين سنتيمترًا منه ، وأن تكون حافة الكتاب العليا فى مستوى العينين .

* وللإضاءة ، ودرجتها ، وزاويتها ، أهمية كبرى فى إغراء الشخص بالمضى فى القراءة ، وهو مستريح النفس والبصر ، أو تنفيره منها وصرفه عنها .. لذلك يجب أن يراعى المرء عند جلوسه للقراءة أن يكون الضوء المنبعث من المصباح أو النافذة القريبة منصبًا على كتفه اليسرى إذا كان من عادته أن يمسك الكتاب بيده اليمنى .. أو العكس بالعكس .

* ويقتضى توفير الجو الملائم للقراءة أن يكون المكان جيد التهوية ، لا يفتقر إلى الأوكسجين اللازم لتنشيط الجسم والذهن . كما يحسن أن

تكون درجة حرارة المكان معتدلة – حوالى ٢٠ درجة مئوية – بحيث لا يشكو الشخص من البرد أو الحر ، وإلا استيقظت غريزته من نومها لتطالب عقله بمزيد من الدفء أو الهواء ، أو بالعكس .

* ولكى لا يتسرب الملل إلى نفس القارئ ، ينبغى له أن يجعل فى متناوله – حين يجلس للقراءة – خليطًا منوعًا من الكتب ، كى يدع الواحد ويتناول الآخر إذا انتابه الضيق من كتاب ، أو صرفه عنه مزاجه أو حالته النفسية . وكثيرًا ما يحدث أن يعجب القارئ بكتاب فى ظل حالة نفسية معينة ، ثم لا يعجبه نفس الكتاب فى جلسة أخرى ، أو حالة نفسية مغايرة !

* وإذا جلست لتقرأ ، فعليك أن تحول بصرك عن الكتاب الذى تقرؤه ، بين الحين والآخر – كل نحو خمس دقائق – لتلقى نظرة إلى الطريق ، أو إلى المبنى المواجه لك ، أو إلى السحب فى السماء ، فإن النظرة إلى بعيد تريح عضلات العين من الإجهاد ، وتردّ لها نشاطها من جديد ..

* ويجدر بك أن تراعى مبادئ أو قواعد معينة تتعلق بنوع المادة التى تقرؤها .. فإذا أخذت فى قراءة كتاب من كتب القصص القصيرة مثلا ، فلتحرص على أن تقرأ قصة كاملة منه – أو أكثر – فى الجلسة الواحدة ، لأن القصة القصيرة وحدة متكاملة ، تفسدها التجزئة على أكثر من جلسة .. وبالنسبة للقصص الطويلة أو المسرحيات ، يحسن أن تقرأ فصلا كاملاً منها فى كل جلسة .. وإذا تعذر عليك فهم معنى كلمة أثناء قراءة

القصة ، فلا تقطع تسلسل الأفكار بالرجوع إلى القاموس فى التو واللحظة ،بل يمكنك وضع علامة سريعة تحتها بالقلم الرصاص ، للبحث عن معناها بعد الانتهاء من القصة أو الفصل ،ولاسيما أنه يندر فى القصص أن يعجزك الجهل بمعنى لفظ واحد عن فهم السياق ولو بصفة مؤقتة . أما فى الكتب غير القصصية – والكتب العلمية على وجه الخصوص – فإن اللفظ غير المفهوم قد يفسد عليك تذوق فقرة طويلة بأكملها . وهنا لا بأس من اللجوء إلى القاموس كلما استدعى الأمر .

• والقارئ العادى يقرأ أربع كلمات فى الثانية ، أو حوالى ١٤,٥٠٠ كلمة فى الساعة . وهذا يعنى أن الشخص الذى يقرأ لمدة ساعة كل يوم ، يستطيع أن يقرأ نحو خمسة ملايين كلمة فى السنة ،أى نحو خمسين كتابًا كل عام (من الكتب المتوسطة ، ذات المائة ألف كلمة) .. على أن هذه السرعة يمكن زيادتها عن هذه النسبة بالتمرين[١] .

مـاذا تقرأ ؟

« فى العلوم ابدأ بقراءة أحدث الكتب ، وفى الآداب أقدمها ، فالكلاسيكيات لا تبلى جدتها ، وهى دومًا حديثة » .

(إدوار بولوار ليتون)

---

(١) وقد رأينا أن الأخصائى الآخر « لويس شورز » قدر سرعة القراءة بثلاثمائة كلمة فى الدقيقة ، أى خمس كلمات فى الثانية ، لا أربع !

* وقبل أن نستعرض الكتب – العربية والإفرنجية – التى لا غنى لمثقف عن قراءتها ، (أو قراءة جانب منها على الأقل ، وفقًا لميوله ونزعاته) ، والمراجع العالمية التى لا غنى له عن اقتنائها .. نبدأ بحصر أبواب المعرفة الرئيسية ، وهى حسب ترتيبها الأبجدى :

١ – آثار .

٢ – أدب بمعناه الضيق ، الذى يطلق عليه بالفرنسية Belles Lettres ويشمل : النقد ، المقالات ، السيرة الذاتية ، الرحلات .

٣ – أديان .

٤ – تاريخ .

٥ – تراث الأقدمين .

٦ – تراجم (سير الخالدين) .

٧ – دراما (مسرحيات) .

٨ – سياسة .

٩ – شعر .

١٠ – علوم .

١١ – علم النفس .

١٢ – علوم اجتماعية .

١٣ – فلسفة .

١٤ – فنون جميلة .

١٥ – قصص .

١٦ – كلاسيكيات .

١٧ – موسيقى .
١٨ – موسوعات ومراجع .
١٩ – نشأة وتطور الإنسان .
٢٠ – هوايات وحرف (للرجل ، وللمرأة) .

ومن العسير أن تلتقى ميول القراء جميعًا وأذواقهم ، أو أذواق أكثريتهم ، عند كتب معينة ، سواء من التراث القديم ، أو الإنتاج المعاصر .. العربى ، أو العالمى .. وإذا كنت سأحاول هنا الإشارة إلى أهم الكتب والمراجع ذات القيمة الباقية والنفع الجليل لكافة المثقفين ، فما ذلك إلا من قبيل « الترشيحات » أو « الاقتراح » فحسب .. ذلك أننى أؤمن بقول صمويل جونسون : « إن الإنسان ينبغى أن يقرأ ما يميل إلى قراءته ، وتقوده إليه – أو تغريه به – هواياته .. فإن ما يقرؤه « كواجب » لن ينفعه إلا نفعا ضئيلا ! » .

ماذا تقرأ من التراث العربى القديم والأدب الحديث ؟

« ومهمة الاختيار هنا متروكة لذوق القارئ كما أسلفنا ، لذلك سأكتفى بمجرد التذكير بأسماء أشهر أعلام الفكر العربى القدماء والمحدثين بغير ترتيب تاركا لكل قارئ أن يختار من مؤلفاتهم ما يتفق مع ميوله واتجاهاته :

فبعد القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث – التى لا غنى عن قراءتها لمثقف – تجىء مؤلفات : الطبرى ، ابن هشام ، الشريف الرضى ،

الجاحظ ، الأصبهانى ، ابن عبد ربه الأندلسي ، القلقشندى ، ابن المقفع ، ابن الأثير ، المبرد ، النويرى ، البلاذرى ، ابن سينا ، ابن رشد ، الدميرى ، ابن خلدون ، الغزالى ، ابن قتيبة ، ابن حزم ، ابن كثير ، ابن طفيل ، السهروردى ، أبى العلاء ، البحترى ، المتنبى ، ابن الرومى ، عمر بن أبى ربيعة ، أبى العتاهية ، الأخطل ، أبى تمام ، جرير ، الفرزدق ، أبى نواس ، امرئ القيس ، الخنساء ، ابن زيدون ، بشار ، الهمذانى ، الفارابى ، أبى حيان ، حسان بن ثابت ، البهاء زهير إلخ .

ولا أنسى معجزة الأدب العربى القديم « ألف ليلة وليلة » ، ثم تراث الأدب الشعبى : قصص عنترة ، والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذى يزن ، والزير سالم ، وأبى زيد الهلالى ..

أما من أدباء ومفكرى العربية المحدثين فتحضرنى - على سبيل المثال لا الحصر - أسماء : الجبرتى ، المويلحى ، رفاعة الطهطاوى ، جمال الدين الأفغانى ، الإمام محمد عبده ، قاسم أمين ، فرح أنطون ، المنفلوطى ، محمد تيمور ، البشرى ، طاهر لاشين ، المازنى ، محمد حسين هيكل ، الجارم ، العقاد .. ومن الشعراء : شوقى ، حافظ ، مطران ، العقاد ، على محمود طه ، كامل الشناوى ، محمود عماد ، الزهاوى ، الشابى ، جبران ، إيليا أبو ماضى[1] .

(١) لم أورد هنا أسماء المعاصرين الأحياء - مد الله فى أعمارهم - من الأدباء والشعراء ، فهم معروفون للقراء بطبيعة الحال ..

ماذا تقرأ وتقتنى من الكتب والمراجع العالمية ؟

« خير تعريف للكتاب فى نظرى أنه عمل من أعمال السحر ، تخرج منه أشباح وصور ، لتحرك كوامن النفوس وتغير قلوب البشر » .
(أناتول فرانس)

* فإذا انتقلنا من مجال الكتب المؤلفة بالعربية ، إلى مجال الكتب العالمية ، سواء المترجم منها إلى لغتنا ، أو الذى لا تتيسر قراءته إلا بلغته الأصلية أو إحدى ترجماته الإفرنجية ، ألفينا الميدان ينفسح ويتشعب إلى غير حد .. ويكفى لإدراك مدى هذا الاتساع والتشعب أن تعلم أنه فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يصدر كل عام ١٥ ألف كتاب جديد ! .. وأن الطبعات الشعبية من الكتب التى تصدرها دور النشر الأمريكية بلغت فى عام ١٩٤٧ نحو مائة مليون نسخة .. وفى عام ١٩٥١ ارتفعت إلى ٢٣٠ مليون نسخة .. ثم واصلت قفزاتها حتى بلغت فى عام ١٩٦٥ نحو ٤٥٠ مليونًا ! .. وهذه الكتب تعرض هناك الآن فى نحو مائة ألف مكان ، إذ لا يقتصر عرضها على المكتبات وحدها ، وأكشاك الصحف ، بل تباع أيضًا فى حوانيت البقالة ، والصيدليات ، ومحطات خدمة السيارات ، علاوة على الموانى ، والمطارات ، ومحطات السكك الحديدية .. إلخ .

ذلك أن العصر الذى كان اقتناء الكتب فيه وقفًا على الأغنياء والقادرين قد انتهى وانقضى ، وكما انتشرت هواية جمع الطوابع فصارت هواية

التلاميذ ، بعد أن كانت هواية الملوك ، انتشرت هواية اقتناء الكتب فصارت ظاهرة ديمقراطية – بعد أن كانت ترفًا أرستقراطيًا – وأصبح للكتاب مكان ، ومكانة ، في بيت كل مثقف ، أيًا كانت الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، ومهما بلغت ضآلة موارده المالية ، وذلك بفضل الطبعات الشعبية أو الـ Paperbacks – أي ذات الغلاف الورقي ، غير المقوى – التي صارت في متناوله .

وبفضل هذه الطبعات الرخيصة الثمن بات في وسع كل إنسان أن يقتني كتبًا في كافة فروع المعرفة ، وليس في الفرع الذي يتخصص فيه بحكم عمله . ذلك أنه خير لكل منا أن يعرف عن كل فرع من فروع المعرفة شيئًا – بصفة عامة – من أن يعرف عن فرع واحد كل شيء ، ولا يعرف شيئًا ما عن سواه من الفروع !

وبصفة مبدئية ، ينبغي أن يقتني كل قارئ في بيته المراجع الأساسية التالية ، أيًا كان عمله أو اتجاه هوايته في القراءة :

١ – معجم لغوي أو أكثر ، من وإلى اللغة التي يتقنها واللغة التي يقرأ بها .

٢ – دائرة معارف ، أو موسوعة ، واحدة على الأقل (سواء الموسوعة البريطانية ، المؤلفة من ٢٤ جزءًا ، أو الأمريكية ، المؤلفة من ثلاثين جزءًا ، (إذا كان هو أوأفراد أسرته يقرءون على نطاق واسع ، قراءة بحث وتخصص) .. أوموسوعة موجزة من ذات الجزء الواحد ، ومثلها كثير ، في جميع اللغات الحية .

٣ – دليل سنوى يلخص أهم أحداث كل عام ، من النوع الذى يطلق عليه World Almanac وتوجد عشرات الطبعات المختلفة منه كل عام ، باللغتين الإنجليزية والفرنسية . وتجد فيه الإجابة عن مئات الأسئلة التى تثيرها المناسبات ، إلى جانب ألوان من المعلومات العامة التى تهم كل إنسان .

٤ – دليل سنوى لأهم الشخصيات التى أدت دورًا هامًا فى كافة المجالات : فى العلوم ، والطب ، والسياسة ، والأدب ، وغيرها ، ويطلق على هذا الدليل بالإنجليزية (Who's Who).

٥ – معجم لسير الأعلام : فى كافة العصور ، وكافة البلاد ، وكافة نواحى الحياة . (والموسوعات الكبرى ذات العشرين أو الثلاثين جزءا قد تغنى عن هذا المعجم) .

٦ – أطلس عالمى أو كتاب للخرائط ، يشمل خرائط تفصيلية لجميع القارات والدول الكبرى ، مع إحصاءات عن عواصم العالم وعدد سكانها والمسافات بينها وخطوط الطيران وجداول التوقيت الزمنى فى كل منها .. إلخ .

٧ – دليل طبى أو صحى ، يصلح مرشدًا لجميع أفراد الأسرة فى كافة شئون الصحة والمرض ، فى انتظار حضور الطبيب ، أو لتنفيذ تعليماته بعد انصرافه ، وقد يغنى عن الطبيب فى كثير من الحالات ، سواء للعلاج أو للوقاية .

الكتب المترجمة .. والكتب التى لم تترجم بعد

« الكتاب الجيد مثل دم الحياة الثمين لأرواح علوية ، محفوظ ومخبوء خصيصًا من أجل حياة أخرى ، وراء الحياة » .

(جون ميلتون)

« ونعود ، من هذا الاستطراد ، إلى حديث الكتب العالمية الجديرة بالقراءة : ما ترجم منها ، وما لم يترجم . ومن أسف أن كل ما ترجم حتى الآن من الكتب والمراجع التى لا غنى عنها لمثقف لا يزيد على واحد فى المائة مما ينبغى أن يترجم ! .. فضلا عن أن الذى ترجم لا ينظمه أى تخطيط منهجى ، فهو لم يترجم وفقا لخطط أو دراسات ذات أبعاد محددة ، وإنما ترجم بناء على اقتراحات فردية متناثرة من كل مترجم يقع فى يده كتاب يتوسم فيه الصلاحية فيعرض فكرة ترجمته على الناشر أو الهيئة التى يتعامل معها ، فإذا وافق أو وافقت خرج الكتاب إلى النور ، وهكذا ، دون ما رابطة حقيقية بين هذا الكتاب أو ذاك .

أقول هذا وأمامى مئات من الكتب والدراسات التى تولت إصدارها أكبر الجامعات العالمية ، وأشهر الأخصائيين ، فى كل فرع من فروع المعرفة ، تتضمن قوائم تفصيلية بنحو ثلاثة آلاف كتاب اتفقت آراء جميع ذوى الشأن على جدارتها بالقراءة والاقتناء ، (ومن ثم جدارتها بالترجمة إلى شتى اللغات الحية) ، وهى كتب تغطى جميع عصور الحضارة البشرية ، منذ أيام الإغريق حتى يومنا الحاضر :

فهذه قائمة يرشحها المفكر الإنجليزى الشهير « ألدوس هكسلى » ..

وهذه أخرى انتقاها الأديب الألمانى الكبير « توماس مان » ..

وثالثة من وضع فيلسوف الصين المعروف « لين يوتانج » ..

ورابعة للكاتب الإنجليزى المعاصر « هسكيث بيرسون » ..

وخامسة للناقد والمعلق المشهور « ج . ب . بريستلى » ..

وسادسة وعاشرة وعشرون .. إلخ .. وضعتها جامعات : لندن ، كمبريدج ، سانت أندروز ، أبردين ، أكسفورد ، ليدز ، ليفربول ، ديجون ، باريس ، نيويورك ، واشنجتون ، كولمبيا ، ييل ، هارفارد ، بنسلفانيا ، شيكاجو ، وسكونسين ، كانساس ، فرجينيا ، سيراكوز ، كاليفورنيا ، تنيسى ، سنسناتى ، منيسوتا ، كولورادو ، بروكلين ، كارولينا الشمالية .. ومعهد كارنيجى .. ونادى القلم الدولى .. إلخ .

وثمة قوائم وضعت حسب التسلسل الزمنى ، تبدأ بكتب اليونان .. فالرومان .. فالعصور الوسطى .. فعصر النهضة .. فعصر أسرة تيودور فى إنجلترا .. فالقرن السابع عشر .. وما تلاه .. إلى القرن العشرين .

.. وقوائم روعى فيها التقسيم النوعى حسب فروع المعرفة المتشعبة : فخصصت فصلا لكل فرع : لكتب الأديان ، فكتب الآثار ، فالأدب ؛ فالعلوم (وهذه تنقسم بدورها إلى عشرات الأبواب والفصول ، بقدر تعددها) ، ثم الفلسفة ، فالفنون ، فالقصص .. إلخ . وقد سبق بيان أبواب المعرفة بالتفصيل .

.. وهذا نوع آخر من القوائم تعددت أبوابه بتعدد البلاد والحضارات واللغات : فهذه قائمة بالكتب الألمانية ، فى جميع العصور .. وقوائم أخرى بالكتب الإيطالية .. والفرنسية .. والإنجليزية ، (والأمريكية) .. والروسية .. والنمسوية .. إلخ .. ثم كتب الشرق ، من عربية قديمة ، وفارسية ، وهندية ، وصينية ، ويابانية .

وبعض الدراسات تضع قوائمها وفقًا لألوان الكتابة وأساليبها وقوالبها الفنية : قائمة للدراما (المسرحيات) .. وأخرى للرواية .. وثالثة للقصة القصيرة .. ورابعة لدواوين الشعر .. وخامسة للرحلات .. والسير .. والمقالات .. والرسائل .. والنقد .. إلخ .

ثم هذه قائمة ترشيحات لأعظم مائة كتاب فى جميع العصور .. (وقد ورد فيها ، بين هذه الكتب المائة : القرآن ، والتوراة ، وألف ليلة وليلة .. إلخ ..)

.. وأخرى بأعظم خمسمائة كتاب كلاسيكى ، من جميع البلاد واللغات ..

وثالثة بأسماء أهم مائة مرجع ، فى شتى فروع المعرفة العشرين ..
ورابعة بأحب كتب العالم إلى القراء . منذ فجر التاريخ ..
وخامسة بأشهر كتب القرن العشرين ..
وسادسة بأعظم ستين قصة فى جميع العصور ..
وسابعة بالكتب التى غيرت وجه التاريخ والحضارة .. أو التى ساهمت فى هز كيان المجتمع الإنسانى .

وثامنة بأشهر كتب الأطفال والصبيان فى شتى اللغات والبلاد ..

وتاسعة بأشهر قصص الحب فى آداب العالم .. أو أعظم القصص الواقعية .. أو أبشع الجرائم والمحاكمات الجنائية .. أو أخلد القصص الطويلة والقصيرة ..

.. وهذه قائمة ترشيحات وضعتها جامعة (شيكاجو) ، تتضمن « برنامجًا خمسيًّا » لقراءة أعظم كتب العالم فى خمس سنوات .. وقد خصصت الجامعة لكل سنة من السنوات الخمس مجموعة من الكتب المطبوعة فى طبعات شعبية ذات غلاف ورقى ، لا يزيد ثمنها على ١١ دولارًا على وجه التقريب !

وتقرر الناقدة الأمريكية « آن ريشتر » أن دراسة أو تقريرًا واحدًا من التقارير التى من هذا النوع ، تعطى القارئ مفتاحًا ييسر له الحصول على حصيلة ثقافية ينفق عليها شخص آخر ما لا يقل عن ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار ، إذا تلقاها عن طريق الدراسة فى إحدى الجامعات أو المعاهد العليا !

وفى هذه الأمثلة الكفاية ، فإن الحديث فى موضوع الترجمة ، وتخطيط ما ينبغى أن يترجم ، والإمكانيات التى يجب أن توضع فى خدمة حركة الترجمة فى بلادنا ، حديث طويل ، يثير الأشجان .. ومن هذه الأشجان أن كبار الأدباء الأكفاء عندنا لا يزالون يعرضون عن الترجمة ، باعتبار أنها – فى رأيهم – دون التأليف ، من حيث المكانة الأدبية التى تحققها لهم .. وهى نظرة متخلفة ، فنّدها ودحضها نادى القلم الدولى فى اجتماعه

الذى عقد فى طوكيو باليابان منذ سنوات قليلة (وقد مثل مصر فيه يومئذ الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد ، ومثل بريطانيا الشاعر « ستيفن سبندر » ، وحضره الأديب الأمريكى « شتاينبك » وغيره من كبار الفنانين وقادة الفكر كمراقبين للمؤتمر) . وقد أجمع المؤتمرون فى الكلمات التى ألقوها ، وفى القرارات التى اتخذوها ، على النقاط الآتية :

أولا : أن الترجمة « فن » ينبغى أن يحتل مكانه بين سائر الفنون الأخرى ، من أدب ، ونحت ، وتصوير ، وموسيقى .. والمترجم فنان ينبغى أن يحتل مكانه بين الشاعر ، والروائى ، والكاتب المسرحى ، والنحات ، والمصور ، والموسيقى ، وغيرهم[1] .

ثانيا : أن كبار الأدباء ينبغى أن يتجهوا إلى الترجمة ، فإنهم بإحجامهم يتركون هذا الميدان وقفًا على تجار الفن والدخلاء عليه ، ويضرون بصالح الشعوب ضررًا بليغًا .

وقد ناقش المؤتمرون أسباب إحجام كبار الكتّاب عن اقتحام ميدان الترجمة ، ولخصوها فيمايلى :

(أ) الجهد العظيم الذى تتطلبه ترجمة الأعمال الأدبية والفنية .

---

(١) من المعروف أن الأديب الروسى « باسترناك » – الفائز بجائزة نوبل فى الأدب لعام ١٩٥٨ – قد اشتهر كمترجم لأعمال شكسبير إلى اللغة الروسية ، قبل أن يشتهر كمؤلف لقصة « دكتور جيفاجو » ! .. وقد لخص هذه النقاط عن تقرير المؤتمر الأستاذ أنيس توفيق .

(ب) قلة الجزاء الذى يلقاه المترجم . فالترجمة فى نظر الكثيرين تجىء فى المرتبة الثانية من حيث الخلق ، والمترجم فى نظر الكثيرين « ظل » للمؤلف الأصلى . وأكاليل الغار تقدم للمؤلف فى الحالتين ، سواء عند تأليفه العمل الأصلى ، وعند ترجمته من لغته إلى لغة أخرى بواسطة المترجم . (وقد أطلق المؤتمرون على المترجم لقب « الجندى المجهول » !)

(جـ) طول المدة التى تتطلبها ترجمة عمل فنى كبير .

ثالثًا : أن للترجمة دورًا خطيرًا فى العالم المعاصر ، فهى تخلق التفاهم الإنسانى الذى يساهم فى زيادة فرص السلام العالمى .

وتعليقًا على ذلك ، لا يملك المرء إلا أن يتساءل : ماذا كان يمكن أن يكون عليه عالمنا لو لم تترجم الكتب السماوية ، وأعمال هوميروس ، وسوفوكليس ، ودانتى ، وشكسبير ، وسرفانتس ، وجوته ، وتعاليم الفلاسفة وقادة الفكر ، والآثار العلمية الكبرى ، إلى لغات العالم المختلفة ؟ !

وأحب أن أضيف إلى هذا التساؤل ، فى مرارة ، نيابة عن القارئ العربى : ماذا ترجم حتى الآن إلى لغتنا العربية من أعمال هؤلاء الأعلام ، وغيرهم مئات ومئات ؟ ! .. وماذا ترجم من تعاليم الفلاسفة وآثار قادة الفكر ، فى جميع العصور ؟ .. ثم ماذا ترجم من المراجع والموسوعات وأمهات كتب العالم ؟ .. وماذا ترجم من الكتب العلمية والأدبية والفنية الكبرى ، التى تعتبر حجر الأساس فى حضارة دول الغرب ؟

ومتى يترجم – من أجل مائة مليون عربى – الإنتاج العالمى المعاصر ، فى كافة ميادين المعرفة ؟

متى يترجم إنتاج أساطين الفكر والعلم والأدب فى العالم فى القرن العشرين ، والقرن التاسع عشر ، والثامن عشر ، والسابع عشر ؟

متى يترجم التراث الكلاسيكى الأوربى منذ عصر النهضة ، وما قبل عصر النهضة ؟

متى يترجم التراث اليونانى القديم ، بأكمله ؟ ![1]

متى يترجم التراث الصينى والهندى القديم ، من الحكمة ، والفلسفة ، والفكر ، والفن ؟

بل متى يترجم التراث « المصرى القديم » ، الذى تزخر مكتبات أوربا وأمريكا بترجماته إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وسواها ، ولا نرى نحن أية ترجمات له إلى لغتنا العربية ؟

ومتى .. ومتى .. ومتى .. ؟

وفى هذا القدر الكفاية .. فالحديث يبدو بلا نهاية !

حلمى مراد

---

(١) كما ترجم الأستاذ الدكتور لويس عوض أخيرًا – بمنتهى الدقة والأمانة – مسرحيتى « الضفادع » و « اجا ممنون » .

من ذاكرة (اقرأ)

أحلام شهرزاد : للدكتور طه حسين

إن شهرزاد الجميلة الساحرة تسعى إلى الملك شهريار كأنها اليقظة تسعى إلى النائم المغرق فى النوم .. فتحدثه حديثا فلسفيا عن الحكم الصالح والرعية وحقوقها ، وهى حين تقص ما دار بين الملك طهمان وابنته فاتنة من حديث فإنما تروى لنا حكمة « فاتنة » التى تذكر أن أثرة الملك هى التى تثير الحروب وترهق الشعوب ... أما أبوها فكان أحكم حين قال . من القسوة يا ابنتى أن ننعم ورعايانا بائسون ، وأن نقوى وهم ضعفاء ، ونثرى وهم فقراء ...

آه لو كان وعى الملوك هذا الكلام الحكيم الرزين !!

شاعر الغزل : عمر بن أبى ربيعة

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الشاعر الغارق فى غمرات الحب ، المفتون بشكله ، حتى أصبحت كل أنثى فى موسم الحج تسأل أهل الطواف عن عمر ... هذا الشاعر الذى لفته غمرات الليل من أجل مغامرات الحب مع ثلاث شقيقات كاعبات ، ومعصر ... هذا الشاعر الذواقة لجمال المرأة العربية الوافر الحظ مع الطبيعة الفاتنة ، الصادق الحس ، المطبوع التعبير ، قد عرضه العقاد من جميع نواحيه ، وعرض طرفا من نوادره ، وطائفة من منتحل شعره ، فبدا لنا هذا العاشق الشاعر على أكمل ما يكون ..

قطر الندى

للأستاذ محمد سعيد العريان

من هذه العروس التي صار عرسها وزفافها وجهازها مضرب الأمثال في كل زمان ومكان ؟ من هذه الزهرة المصرية التي زفت إلى الخليفة ببغداد ، فكان مهرجانا لم تشهده الدنيا في قديم ولا حديث ؟ أكان زواجا توجه الحب ، أم رباطا وكدته المصلحة السياسية ؟ إن هذا الكتاب هو قصة هذه العروس التي كان في جهازها ألف هاوون من الذهب .

العشاق الثلاثة

للدكتور زكي مبارك

يلتقي هنا ثلاثة عشاق من الموحدين في الحب ، فهم لا يسقطون على كل زهرة ... وإنما انفرد كل منهم بمحبوبته لم يشرك معها غيرها ... لقد أحب جميل بثينة ، وأحب كثير عزة ، وأحب ابن الأحنف فوزا ، فماذا كانت قصص حبهم ؟ وما مظاهر القوة في غرامهم ؟ وإلى أين انتهى بهم المطاف ؟ لقد تابعهم المرحوم زكي مبارك حتى كاد يكون رقيبا عليهم .. إلا أنه رقيب ظريف !

مشاهدات في الهند

للسيدة أمينة السعيد

هذه رحلة ممتعة أتيحت للكاتبة الأديبة ، فلم تستأثر بها لنفسها ، بل آثرت أن تشرك معها ألوفا من القراء . ولم تضع الكاتبة على وجهها نقابا ، ولا على عينيها غطاء ، بل كشفت عن بصرها ، كما كشف الله عن بصيرتها لتتعمق الحياة الهندية في الصميم . لقد دخلت البيوت فوصفتها ، وخالطت

الناس فعرضتهم فى أثوابهم ، وجذبتها المرأة فدرستها ، ولفتها السياسة فأصغت إلى فعالها فى الهند ، وعاد بها حاضر الهند إلى بعض ماضيها القديم .. كما فعلت فى قصة « شاه جهان » وزوجته « ممتاز » ... .

أرض المعجـزات — للدكتورة بنت الشاطئ

هى الأرض التى كانت مهد الرسالات ، ووطن المعجزات ... هى الأرض التى خرج من ثراها الطاهر رسل وأنبياء وجهـوا الإنسانيـة إلى رسالة الحق والمحبة والخير ... هى رحلة أتيحت لأديبة ، فى مهد العروبة ، فتنقلت بنا فى الوصف من جدة إلى الرياض ، ومن أطراف الجزيرة إلى قلب الصحراء ... ومن مساكن نجد إلى المساكن التى أقيمت لرجال الذهب الأسود الذى يعتصرونه من أطباق الأرض وأعماق الرمال ... وتخرج بنا الكاتبة من زحام المادة فى آبار البترول إلى صفاء الروح فى الحرم النبوى ... حيث تختلف بنا وبها أحاديث ذوات شجون وشجون .

الهزات الزلزالية — للأستاذ محمد على المغربى

لعل أكبر ما يصيب الإنسانية من بلاء ، وما يفدحها من كوارث ، هو ما يفجؤها به باطن الأرض من غضب وثوران ! ..

ولقد بذل العلماء جهدهم فى دراسة ظواهر الكون ، ومن بينها الهزات الزلزالية والعوامل المؤثرة فيها . ولكن أتراهم أفلحوا فى منعها أو وقفها ؟ كلا ... فليس إلى ذلك من سبيل ، غير أنهم استطاعوا معرفة الكثير عن

مناطق العالم القلقة ، ليتخذ سكانها أساليب الحيطة والنجاة بما لديهم من وسائل .

وهذا الكتاب عرض دقيق لما وصل إليه العلماء فى هذا الميدان ، مع ذكر بعض الحوادث الزلزالية الهامة من قبل الميلاد حتى القرن الحالى ، موضحا ذلك برسوم وخرائط تناسب المقام .

دعـــاء

للأستاذ على أمين

دعوات مرفوعة من قلب مؤمن بالله ، وبالوطن ، وبالقيم الإنسانية ، وبالحب ، وبالتسامح . وبالقوة ، وبالكفاح ، وبالمثل العليب ، وبالأسرة ، وبالتعاطف ، وبالوحدة ، وبالأمل ، وبعرفان الجميل ، وبالانصاف ، وبالحرية ، وبالتواضع ، وبالعمل الصالح .

دعوات تلمس فيها الصدق ، وتتجاوب مع المشاعر فى أغوار النفس وكل دعاء منها يضىء فى العقل فكرة ، ويحرك فى القلب وترًا ويوجه الإنسان نحو الخير .

بقايا كل شىء

للأستاذ أنيس منصور

يجول المؤلف بعينيه وبعقله وبقلبه وبروحه فى الريف وفى الحضر ، وفى البيوت ، وفى عيادات الأطباء ، وفى المكاتب ، وفى الشوارع ، وفوق الأسطح ، وتحت السلم ... وينطبع فى نفسه ما يجعله يقول فى مقدمة كتابه : « هذه الصفحات هى بقايا دموع ... صدى صرخات ...

ترددت فى نفسى ، وفى نفوس الآخرين ... لها طعم الملح ، ولسع النار ، ووخز الإبر ، وإلحاح الضمير ، وبريق الأمل ... » .

فى أضواء المسرح للأستاذ رجاء النقاش

دراسات نقدية عن المسرح المصرى والمسرح العالمى ، متنوعة المنهج ، تطبيقية ونظرية ، تتعرض للمضمون الفكرى والشكل الفنى ، وترتكز على النص المسرحى وتشير إلى الإخراج والتمثيل . وهى تتضمن تلخيصا سريعا لكل مسرحية تعرض لها المؤلف ، ومنها ٦ مسرحيات عالمية . و ١٤ مسرحية مصرية ، من بينها : تاجر البندقية ، عطيل ، روميو وجولييت ، اليكترا ، علماء الطبيعة ، صيف ودخان ، عيلة الدوغرى ، ٣ مسرحيات للحكيم ، حلاق بغداد ، شفيقة ومتولى ، الدخان ، الفرافير ، جميلة .. الخ .

الكعبة على مر العصور للدكتور على حسنى الخربوطلى

دراسة علمية منهجية لتاريخ الكعبة المقدسة تعتمد على القرآن الكريم وكتب السيرة النبوية والمصادر العربية الإسلامية الأصيلة .

ويتحدث الكتاب عن قيام الكعبة على يد إبراهيم وولده اسماعيل ، والكعبة فى العصر القرشى ، والحج إلى الكعبة قبل الإسلام ، والرسول والكعبة ، وابن الزبير يعيد بناء الكعبة ، وكسوة الكعبة على مر العصور ، ووصف الكعبة .

الحرية فى الإسلام — للدكتور على عبد الواحد وافى

لم يقيد الإسلام حرية الفرد إلا فى الحدود التى يقتضيها الصالح العام. وهذا الكتاب يتناول الحريات التى كفلها الإسلام.

الحرية المدنية ومعناها وأوضاعها مع تركيز الأضواء على موضوع الرق وتقييده.

والحرية الدينية وتحريم الاكراه فى الدين.

وحرية التعبير والتفكير العلمى وحث العقول على النظر فى خواص الكون.

والحرية السياسية وحق الأمة فى اختيار الحاكم.

قصة الفلسفة — للدكتور مراد وهبه

الفلسفة فى أصلها اليونانى تعنى حب الحكمة فالفيلسوف إذن ليس حكيما وإنما هو مجرد عاشق للحكمة لأن الله وحده هو الحكيم.

والله « مطلق » بمعنى أنه موجود قائم بذاته وليس قائما بموجود آخر.

وقصة الفلسفة هى قصة البحث عن المطلق وقصة الصلة بين المطلق والنسبى وقصة العلاقة بين البسيط والمركب.

سندباد فى رحلة الحياة — للدكتور حسين فوزى

كما عودنا الدكتور حسين فوزى فى سندبادياته – يعطينا فى هذا « السندباد » ترجمة شيقة لنفسه زاخرة بالصور الأدبية والفنية لحضارة

مصرية وحضارات أجنبية – فتصحبه طفلا فغلاما فشابا فى مدرسة الطب زمن ثورة ١٩١٩ – ثم طبيبا بمستشفى الرمد ثم عضو بعثة – لا ليدرس الطب – ولكن ليدرس علوم البحار ليعود فيعمل فى مصلحة مصايد الأسماك حيث تتاح له الفرصة للحياة فترة طويلة فى عرض البحر على ظهر السفينة « مباحث » ... ثم توكل إليه عملية تأسيس جامعة الإسكندرية ... ثم يحكى المؤلف الفنان كيف عشق الأدب والتاريخ والموسيقى ليجعل من الكتاب قطعة رائعة من فن « الأوتوبيوجرافيا » .

أفكار ضد الرصاص — للأستاذ محمود عوض

يقول المؤلف عن كتابه هذا « إننى أستطيع أن أعطيك قلبى فأصبح عاشقًا ، أعطيك طعامى فأصبح جائعًا ، أعطيك ثروتى فأصبح فقيرًا ، أعطيك عمرى فأصبح ذكرى ، ولكننى لا أستطيع أن أعطيك حريتى ، إن حريتى هى دمائى ، هى عقلى ، هى خبز حياتى ، إننى لو أعطيتك إياها فإننى أصبح قطيعًا ، شيئًا له ماض ولكن ليس أمامه مستقبل » . بهذا المنطلق يناقش المؤلف ، أربع قضايا وقف فيها طه حسين وقاسم أمين وعلى عبد الرازق والكواكبى بمفردهم ضد مجتمع بأكمله ، لقد قال كل منهم كلمته ثم وقف بعدها يدافع عنها ويدفع ثمنها لسنوات طويلة من عمره ... والقضية فى كل مرة هى : حرية الرأى .

آدم يعود إلى الجنــة — للدكتور حسين مؤنس

الكتاب قصة مصرية صميمة شخصياتها وأحداثهـا وقعت فى أرض مصرية تحس وأنت تقرأها بأنك تعرف شخصياتها ، وقد زادها جمالا سهولة أسلوبها وحسن تحليلها .

والكتاب يحكى قصة الصراع على الأرض المصرية عدو يحاول اغتصابها ويملك من أدوات البطش والتنكيل الكثير ، وأصحابها أناس طيبون لا يملكون إلا الإيمان بالله وبأرضهم وبحقهم فى الحياة الحرة الكريمة . وينتهى الكتاب بانتصار الخير على الشر ولكن بعد تعب وشقاء فالطريق إلى الجنة يسير عبر النار .

أحمد رامى — للدكتورة نعمات فؤاد

هو شاعر يمتاز بالسلامة لا بالفحولة وله نظراء ومنافسون كثيرون ، وفى الأغنية فهو منفرد الطابع والأسلوب لأن أغانيه لم تكن جوفاء فقد وفر لها قيمًا فنية من حيث الصورة والتعبير جعلتها نقطة وعلامة بارزة .

وكان أحب الشعراء إلى رامى وكما يردد دائمًا الشريف ، وشوقى من الشعراء العرب وبايرون وشيلى من الإنجليز ، والفريد دى موسيه ولا مارتين من الفرنسيين ، والخيام وحافظ والشيرازى من الفارسيين ، وأحب الشعر الغربى إليه الشعر القصصى لاحتفاله بالتحليل النفسى والسؤال هنا هل لأحد هؤلاء الشعراء أثر ظاهر السمات فيه ؟

فهذا ما يجيب عليه الكتاب ضمن ما يجيب عليه من تساؤلات .

النساء حين يتحطمن — للأستاذ صلاح عبد الصبور

فى هذا الكتاب يتناول الأديب المعروف بقلمه البارع عددًا من أمهات القصص العالمية الحديثة بالتلخيص والتحليل ، فتقرأ معه ثلاثًا من قصص « سيمون دى بوفوار » تعرض فيها الأديبة الفرنسية الكبيرة نماذج لثلاث من النساء حين يتحطمن » ثم يقدم لك قصة من الأدب الأمريكى للعملاق أرسكين كالدويل ، صاحب « طريق التبغ » وقصة من الأدب الإيطالى الواقعى الصارخ هى « الجلد » للأديب المعاصر « مالا بارته » تليها قصة من الأدب السوفييتى للكاتب المتحرر « إيليا اهرنبرج » .

الغـزالى — للأستاذ طه عبد الباقى سرور

من ذلك المتصوف الذى حارب الفلسفة ليبنى على أنقاضها مذهبا فى التصوف والأخلاق ؟ من ذلك الفيلسوف الذى خاصم الفلسفة ليقيم على أطلالها عقيدة دينية لا تجرى وراء النظريات والجدليات . ولكنها ترتد إلى ذلك النبع الصافى فى الإسلام ؟ من ذلك الأصولى الفقيه المتكلم الذى كأنما سحر الجماهير فانقادت له فى سهولة ويسر لأنه مزج العقائد بالعبادات ؟ ان هذا الكتاب يلخص لنا آراء الغزالى الذى يمثل لنا النزعة الاستقلالية فى التفكير ، بعيدا عن تأثير المذاهب ...

اقــــرأ
من ينايـر ١٩٤٣ حتى ديسمبـر ١٩٤٣

١٧ – شكسبير – للأساتذة محمد فريد أبو حديد – وزكى نجيب محمود – وأحمد خاكى
١٨ – قنديل أم هاشم – للأستاذ يحيى حقى
١٩ – سيدة القصور – للأستاذ على الجارم
٢٠ – الملك فاروق – للأستاذ كريم ثابت
٢١ – أبو نواس – للأستاذ عبد الحليم عباس
٢٢ – جحا فى جانبولاد – للأستاذ محمد فريد أبو حديد
٢٣ – صوت أبى العلاء – د . طه حسين
٢٤ – لافوازييه – للأستاذين عبد الحميد يونس – وعبد العزيز أمين
٢٥ – قصة البنيسيلين – د . مصطفى عبد العزيز
٢٦ – العشاق الثلاثة – د . زكى مبارك
٢٧ – بغداد مدينة السلام – للأستاذ طه الراوى
٢٨ – بوشكين : أمير شعراء روسيا – للأستاذ نجاتى صدقى
٢٩ – النار والنور – للأستاذ أمين إبراهيم كحيل
٣٠ – قطر الندى – للأستاذ محمد سعيد العريان
٣١ – الغزالى – للأستاذ طه عبد الباقى سرور
٣٢ – الشيخ قرير العين – للأستاذ كرم ملحم كرم
٣٣ – فى بيتى – للأستاذ عباس محمود العقاد
٣٤ – فارس بنى حمدان – للأستاذ على الجارم
٣٥ – جوته – للأستاذ صديق شيبوب
٣٦ – مع الحيات – د . حسين فرج زين الدين
٣٧ – العناصر النفسية فى سياسة العرب – للأستاذ شفيق جبرى

٣٨ – العلم والحياة – د . على مصطفى مشرفة
٣٩ – المدينة المسحورة – للأستاذ سيد قطب
٤٠ – مهد العرب – د . عبد الوهاب عزام
٤١ – الفيتامينات – د . مصطفى عبد العزيز – ومحمد رشاد الطوبى
٤٢ – قصة عبقرى – د . يوسف العش
٤٣ – عنترة بن شداد – للأستاذ محمد فريد أبو حديد
٤٤ – قصة العدوى – د . محمد عبد الحميد جوهر
٤٥ – مشاهدات فى الهند – للسيدة أمينة السعيد
٤٦ – الشيخ الرئيس : ابن سينا – للأستاذ عباس محمود العقاد
٤٧ – أبو زيد الهلالى – للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
٤٨ – غرائز الحيوانات – للأستاذ محمد محمد فياض
٤٩ – بين البحر والصحراء – للأستاذ شفيق جبرى
٥٠ – تشيخوف – للأستاذ نجاتى صدقى
٥١ – الشاعر الطموح – للأستاذ على الجارم
٥٢ – النار الخالدة – للأستاذ فؤاد صروف
٥٣ – قصة الكتابة العربية – د . إبراهيم جمعة
٥٤ – تولستوى – للأستاذ حسن محمود
٥٥ – مع الأسماك – للدكتورين حسين فرج زين الدين – وموسى باسيليوس
٥٦ – طرائف من الصحافة – للأستاذ محمود العزب موسى
٥٧ – قضية فلسطين – للأستاذ محمد رفعت
٥٨ – خاتمة المطاف – للأستاذ على الجارم

٥٩ – الجوارى – د . جبور عبد النور
٦٠ – شجرة الدر – للأستاذ محمد سعيد العريان
٦١ – الموج الساحر – للأستاذ محمد عاطف البرقوقى
٦٢ – مرح الوليد – للأستاذ على الجارم
٦٣ – رفيق الأرض – للأستاذ نظمى لوقا
٦٤ – الأغنية الشعبية – للأستاذ حسن عبد السلام
٦٥ – عمر بن عبد العزيز - للأستاذ أحمد زكى صفوت
٦٦ – مملكة العذارى – د . أحمد زكى أبو شادى
٦٧ – أمير قصر الذهب – للأستاذ طاهر الطناحى
٦٨ – جمال الدين الأفغانى – للأستاذ عبد القادر المغربى
٦٩ – رحلة الربيع – د . طه حسين
٧٠ – الجبرتى – للأستاذ خليل شيبوب
٧١ – الهرمونات – للدكتورين محمد رشاد الطوبى – وفؤاد خليل
٧٢ – فولتير – للأستاذ سليم سعدة
٧٣ – أسرار الحياة – للدكتورين عبد العزيز أمين - ومصطفى عبد العزيز
٧٤ – قصر الرشيد – د . طه الحاجرى
٧٥ – العيون فى العلم – للأستاذ قدرى حافظ طوقان
٧٦ – ثم غربت الشمس – للدكتورة سهير القلماوى
٧٧ – المغنى المجنون – للأستاذ أحمد الصاوى محمد
٧٨ – سقراط – للأستاذ على حافظ بهنسى
٧٩ – بيرانديلو – للأستاذ محمد أمين حسونة

٨٠ - الحب والكراهية - د . أحمد فؤاد الأهوانى
٨١ - فى بلاد النجاشى - د . مراد كامل
٨٢ - فرانزليست - للأستاذ خليل هنداوى
٨٣ - من النافذة - للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٨٤ - الوراثة والجنس - د . عبد الحليم منتصر
٨٥ - بيتهوفن - للأستاذين محمد فهمى أبو النصر - وهدى حبيشة
٨٦ - الوعد الحق - د . طه حسين
٨٧ - غادة رشيد - للأستاذ على الجارم
٨٨ - الهنود الحمر - د . على عبد الواحد وافى
٨٩ - برنارد شو - للأستاذ عباس محمود العقاد
٩٠ - قصة البترول - للأستاذ يوسف مصطفى الحارونى
٩١ - جابر بن حيان وخلفاؤه - للأستاذ محمد محمد فياض
٩٢ - الجامحة - للسيدة أمينة السعيد
٩٣ - العالم سنة ٢٠٠٠ - للأستاذ على عبد الجليل راضى
٩٤ - طرائف من التاريخ - للأستاذ مصطفى الشهابى
٩٥ - من أضواء الماضى - للأستاذ سامى الكيالى
٩٦ - شيخ التكية - للأستاذ محمد عبده عزام
٩٧ - فلاسفة الحكم فى العصر الحديث - للأستاذ عباس محمود العقاد
٩٨ - الخوف - د . أحمد فؤاد الأهوانى
٩٩ - نساء محاربات - للسيدة صوفى عبد الله
١٠٠ - قصة العناصر - للأستاذ إمبابى أحمد

١٤٣ – ابن عمار – للأستاذ ثروت أباظة

١٤٤ – ابن بطوطة فى العالم الإسلامى – د . إبراهيم أحمد العدوى

١٤٥ – عيون معصوبة – للأستاذ محمود كامل

١٤٦ – هذا الإنسان – د . حبيب صادر

١٤٧ – مارس يحرق معداته – للأستاذ عيسى الناعورى

١٤٨ – أخى المواطن – للأستاذ فتحى رضوان

١٤٩ – بين البقاء والفناء – للأستاذ قدرى حافظ طوقان

١٥٠ – وعى الشباب – للأستاذ واصف البارودى

١٥١ – العاشقة المتصوفة – للسيدة وداد سكاكينى

١٥٢ – قلوب معذبة – للأستاذ قدرى قلعجى

١٥٣ – دماء وطين – للأستاذ يحيى حقى

١٥٤ – أينشتين والعالم – للأستاذ محمد عاطف البرقوقى

١٥٥ – بنت يزيد – للأستاذ سامى الكيالى

١٥٦ – النوم والأرق – د . أحمد فؤاد الأهوانى

١٥٧ – غرام الأدباء – للأستاذ عباس خضر

١٥٨ – الغيرة – للأستاذ إبراهيم المصرى

١٥٩ – أجواء – للأستاذ حسن محمود

١٦٠ – حيات المسبحة – للأستاذ يحيى نامق

١٦١ – الفلسفة الوجودية – د . زكريا إبراهيم

١٦٢ – مكسيم غوركى – للأستاذ نجاتى صدقى

١٦٣ – غرائب من الرحلات – للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

١٦٤ – دانتي – للأستاذ مصطفى آل عيال

١٦٥ – مصرع طاغية – للأستاذ حسن رشاد

١٦٦ – الأحلام والرؤى – للأستاذ عبد العزيز جادو

١٦٧ – أنات الساقية – للأستاذ حسن عبد الله القرشى

١٦٨ – القارة العذراء – للأستاذ محمود العزب موسى

١٦٩ – عادات الزواج وشعائره – للأستاذ أحمد الشنتناوى

١٧٠ – القلق – د . أبو مدين الشافعى

١٧١ – حرب الخامات – د . عبد الحليم منتصر

١٧٢ – المخترعون – للأستاذ أحمد طه السنوسى

١٧٣ – الجزر الخضراء – للأستاذ حبيب جاماتى

١٧٤ – فنون السحر – للأستاذ أحمد الشنتناوى

١٧٥ – هذا الشرق العربى – للأستاذ فتحى رضوان

١٧٦ – عودة المفقود – للأستاذ حسن رشاد

١٧٧ – صور من إفريقية – د . محمد محمود الصياد

١٧٨ – الصعود إلى المريخ – د . محمد جمال الدين الفندى

١٧٩ – السفارات الإسلامية – إلى أوربا – فى العصور الوسطى – د . إبراهيم أحمد العدوى

١٨٠ – ضعاف العقول – للأستاذ مترى أمين

١٨١ – هجرة الحيوان – د . أحمد حماد الحسينى

١٨٢ – لمحات من الأدب الروسى – للأستاذ ماهر نسيم

١٨٣ – الثريا – للأستاذ كمال بسيونى

١٨٤ – المراسل الحربى – د . محمود محمد الجوهرى
١٨٥ – الغبار الذرى – د . محمد جمال الدين الفندى
١٨٦ – عاشقة نفسها – للأستاذ حسن رشاد
١٨٧ – طاغور – د . جميل جبر
١٨٨ – الثورة العرابية وأثرها فى تطور الشعب ونهضته – للأستاذ محمد عصام المرشدى
١٨٩ – عصر الإلكترونات – د . جورج وهبة العفى
١٩٠ – المساجد والقصور بالأندلس – د . السيد محمود عبد العزيز سالم
١٩١ – الهزات الزلزالية – للأستاذ محمد على المغربى
١٩٢ – أدباء من الجزائر – د . إبراهيم الكيلانى
١٩٣ – دون جوان – د . لطفى عبد البديع
١٩٤ – الطوطمية – د . على عبد الواحد وافى
١٩٥ – محكمة الضمير – للأستاذ حسن رشاد
١٩٦ – قوى الطبيعة فى خدمتك – د . محمد جمال الدين الفندى
١٩٧ – جان جاك روسو – د . محمد سامى الدهان
١٩٨ – الكلف الشمسى – للأستاذ محمد على المغربى
١٩٩ – عروس ومآتم – للأستاذ البدوى الملثم
٢٠٠ – مواطن أمام القضاء – للأستاذ فاضل السباعى
٢٠١ – التنبؤ بالغيب – قديما وحديثا – للأستاذ أحمد الشنتناوى
٢٠٢ – الارهاق العصبى – للأستاذ نظمى خليل
٢٠٣ – القومية العربية فى الأدب الحديث – د . محمد زغلول سلام

٢٠٤ – فيكتور هوجو – د . جورج زايد
٢٠٥ – الوجودية والإسلام – للأستاذ محمد لبيب البوهى
٢٠٦ – جولة فى الاقليم الشمالى – د . يوسف سمارة
٢٠٧ – الناصر صلاح الدين – د . محمد سامى الدهان
٢٠٨ – الإسلام فى السودان – للأستاذ محجوب زيادة
٢٠٩ – حال الدنيا – للأستاذ حسن رشاد
٢١٠ – أمراض الصيف – د . أنيس فهمى
٢١١ – الفروسية العربية – فى العصر الجاهلى – للأستاذ سيد حنفى
٢١٢ – العرب – ورسالتهم الإنسانية – د . على حسنى الخربوطلى
٢١٣ – الألعاب الأولمبية – للأستاذ مصطفى الشهابى
٢١٤ – عصر التليفزيون – د . جورج وهبه العفى
٢١٥ – قصة ملكة سبأ – د . زاهر رياض
٢١٦ – وحدة العرب – للأستاذ إبراهيم الدسوقى البساطى
٢١٧ – لكى تكون سعيدا – للأستاذ عبد العزيز جادو
٢١٨ – الشفق القطبى – للأستاذ محمد على المغربى
٢١٩ – ثمن الكرامة – للأستاذ سلامة خاطر
٢٢٠ – الحب المثالى عند العرب – د . يوسف خليف
٢٢١ – التصنيع طريقنا إلى القوة والرخاء – د . حسن الأشمونى
٢٢٢ – الحياة المثالية وكيف نحققها – للأستاذ محمود أحمد حماد
٢٢٣ – الشاعر الشهيد هاشم الرفاعى – للأستاذ محمد كامل حتة
٢٢٤ – الأسنان : أمراضها وعلاجها – د . حليم الكدوانى

٢٢٥ – المجتمع العربى – للأستاذ محمود الشرقاوى
٢٢٦ – النفس الإنسانية – فى أدب الجاحظ – للأستاذ سامى الكيالى
٢٢٧ – الإنسان والمرض – د . أحمد مختار
٢٢٨ – التعبئة الروحية – فى بناء المجتمع – د . حسن الأشمونى
٢٢٩ – الطريق إلى النجاح – للأستاذ عبد العزيز جادو
٢٣٠ – الجغرافيون العرب – للأستاذ مصطفى الشهابى
٢٣١ – صورة من كفاح الشعب العربى – د . جمال الدين الرمادى
٢٣٢ – أبو القاسم الشابى – شاعر الحب والثورة – للأستاذ رجاء النقاش
٢٣٣ – المرأة فى شعر البحترى – د . نعمات أحمد فؤاد
٢٣٤ – حبة البرتقال – للأستاذ أحمد العنانى
٢٣٥ – المساواة فى الإسلام – د . على عبد الواحد وافى
٢٣٦ – عالج نفسك – د . كمال دسوقى
٢٣٧ – باقة طيبة – للأستاذ محمد كامل سند
٢٣٨ – قلب عذراء – للأستاذ إبراهيم المصرى
٢٣٩ – أخطاء الأطباء – د . فائق الجوهرى
٢٤٠ – نفوس تتكلم – للسيدة وداد سكاكينى
٢٤١ – نحو حياة مشرقة – للأستاذ عبد العزيز جادو
٢٤٢ – تعدد الزوجات – لدى الشعوب الأفريقية – د . محمود سلام زناتى
٢٤٣ – لماذا الاشتراكية العربية – للأستاذ لمعى المطيعى
٢٤٤ – التماثيل المكسورة – للأستاذ رجاء النقاش
٢٤٥ – الفن وتنمية السلوك الاشتراكى – د . محمود البسيونى

٢٤٦ - اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة - للأستاذ محمد السيد أيوب
٢٤٧ - البحر المتوسط بحيرة عربية - د . على حسنى الخربوطلى
٢٤٨ - من الأدب الأفريقى - للأستاذ على شلش
٢٤٩ - عصر الطاقة الشمسية - د . جورج وهبة العفى
٢٥٠ - ابن حمديس الصقلى - للأستاذ على مصطفى المصراتى
٢٥١ - القيادة الجماعية فى مجال التطبيق العملى - للأستاذ أحمد مصطفى عيسى
٢٥٢ - الأمن والسلام فى الإسلام - د . جمال الدين الرمادى
٢٥٣ - الصين والعرب عبر التاريخ - للأستاذ محمد محمود زيتون
٢٥٤ - من أعلام الحرية - فى العالم العربى الحديث - للأستاذ أنور الجندى
٢٥٥ - العوالم الأخرى - د . محمد جمال الدين الفندى
٢٥٦ - عشرة من الخالدين - للأستاذ إبراهيم المصرى
٢٥٧ - أمراض نفسية - د . كمال دسوقى
٢٥٨ - المحاماة فى المجتمع الاشتراكى - د . أبو اليزيد على المتيت
٢٥٩ - مع العقاد - د . شوقى ضيف
٢٦٠ - دعاء - للأستاذ على أمين
٢٦١ - عروبتنا - للأستاذ محمود كامل
٢٦٢ - بقايا كل شىء - الأستاذ أنيس منصور
٢٦٣ - عجائب الأرض والسماء - د . محمد جمال الدين الفندى
٢٦٤ - ٤٥ مشكلة حب - د . مصطفى محمود
٢٦٥ - الأمثال فى القرآن - للأستاذ محمود بن الشريف
٢٦٦ - النقائص والنجاح - للأستاذ ضياء الدين أبو الحب

٢٦٧ – آخر كلمات العقاد – يقدمها الأستاذ عامر العقاد

٢٦٨ – لبيك – للأستاذ محمد كامل حته

٢٦٩ – قلوب الخالدين – للأستاذ إبراهيم المصرى

٢٧٠ – فى أضواء المسرح – للأستاذ رجاء النقاش

٢٧١ – نماذج من النساء – للأستاذ محمد زكى عبد القادر

٢٧٢ – الجسد والميكروب – د . مصطفى عبد العزيز

٢٧٣ – مذكرات طبيبة – د . نوال السعداوى

٢٧٤ – المزاعم الصهيونية فى فلسطين – للأستاذ فتحى فوزى عبد المعطى

٢٧٥ – الوحدة الأفريقية – للأستاذ محمد أبو الفتوح الخياط

٢٧٦ – صنيعة الشيطان – للأستاذ حسن رشاد

٢٧٧ – عبد المطلب جد الرسول – د . على حسنى الخربوطلى

٢٧٨ – يوسف الصديق – للأستاذ محمد طلبة رزق

٢٧٩ – مع الآخرين – للأستاذ أنيس منصور

٢٨٠ – الدعاء فى القرآن – للأستاذ محمود بن الشريف

٢٨١ – خالدون فى الوطن – للأستاذ إبراهيم المصرى

٢٨٢ – الصيدلة علم وفن وإنسانية – د . جورج وهبة العفى

٢٨٣ – دماء فى الفجر – « فى سبيل الحرية » – قصة بدأها « جمال عبد الناصر »
– وأكملها فاروق حلمى

٢٨٤ – عروسة على الرف – للسيدة صوفى عبد الله

٢٨٥ – فيتامينات وهرمونات – للدكاترة محمد صدقى عبده ومحسن الدناصورى
ونجيب الإبراشى

٢٨٦ – الغذاء الكامل أساس الصحة – د . أسامة أمين العطار

٢٨٧ – قصص من جوته – ترجمة د . عبد الغفار مكاوى

٢٨٨ – قصص الحب العربية – « أغراضها وتطورها » – للأستاذ عبد الحميد إبراهيم محمد

٢٨٩ – البارونة أم أحمد – للأستاذ محمود تيمور

٢٩٠ – شخصيتك فى الميزان – د . عبد الكريم دهينة

٢٩١ – الكعبة على مر العصور – د . على حسنى الخربوطلى

٢٩٢ – شىء من الخوف – للأستاذ ثروت أباظة

٢٩٣ – معركة العلمين – للأستاذ السيد فرج

٢٩٤ – كوكب الإنسانية – للأستاذ أحمد حسين المحامى

٢٩٥ – فلسطين قلب العروبة – للأستاذ محمد فيصل عبد المنعم

٢٩٦ – البترول العربى فى المعركة – د . محمود أمين

٢٩٧ – ابن السلطان – د . عبد الغفار مكاوى

٢٩٨ – ٤ كتب و ٤ كُتّابْ – للأستاذ محمد بدر الدين خليل

٢٩٩ – التغذية ومخاطر الصناعة – د . أسامة أمين العطار

٣٠٠ – الصيام فى القرآن – للأستاذ محمد الدسوقى

٣٠١ – مع طه حسين – (الكتاب الثانى) – للأستاذ سامى الكيالى

٣٠٢ – نشيد الكروان – للأستاذ طاهر الطناحى

٣٠٣ – من عجائب الحياة – للأستاذ فوزى الشتوى

٣٠٤ – الحرية فى الإسلام – د . على عبد الواحد وافى

٣٠٥ – قصة الفلسفة – د . مراد وهبة

٣٠٦ – سندباد فى رحلة الحياة – د . حسين فوزى

٣٠٧ – قالت له – للأستاذ محمد زكى عبد القادر

٣٠٨ – البحر والناس – د . سيد حسن شرف الدين

٣٠٩ – التفاؤل والتشاؤم – للأستاذ نجيب يوسف بدوى

٣١٠ – حوار مع برتراند رسل وسارتر – للأستاذ لطفى الخولى

٣١١ – حرب الأفيون – للأستاذ محمد العزب موسى

٣١٢ – الرسول فى رمضان – د . على حسنى الخربوطلى

٣١٣ – عذراء قصة الحب الخالد – للأستاذ فايد العمروسى

٣١٤ – الفداء فى الإسلام – د . أحمد الشرباصى

٣١٥ – أعترف إليك – للأستاذ أحمد فؤاد تيمور

٣١٦ – سجين ثورة ١٩١٩ – د . محمد مظهر سعيد

٣١٧ – صور باريسية – للأستاذ يوسف فرنسيس

٣١٨ – أسنانك وكيف تحافظ عليها – د . فاروق مرشد

٣١٩ – فى مواجهة إسرائيل – د . إسماعيل صبرى عبد الله

٣٢٠ – مذكرات زوج – للأستاذ أحمد بهجت

٣٢١ – الإنسان الأوربى فى الجد واللعب – للأستاذ عبد الستار الطويلة

٣٢٢ – قناة السويس – فى مائة عام – د . محمد عبد الرحمن برج

٣٢٣ – مع المصطفى فى عصر المبعث – د . بنت الشاطئ

٣٢٤ – هوشى منه – للأستاذ جورج عزيز

٣٢٥ – لمحات من المسرح العالمى – للسيدة جاذبية صدقى

١٠٩١

٣٢٦ – الروح والخلود بين العلم والفلسفة – للأستاذ عبـ
د . رءوف عبيد

٣٢٧ – مواقف إسلامية – د . عبد العزيز كامل

٣٢٨ – المعقول واللامعقول – د . أحمد فؤاد الأهوانى

٣٢٩ – رسائل إلى ولدى خالد – بقلم البدوى الملثم

٣٣٠ – أروى بنت اليمن – للأستاذ عارف تامر

٣٣١ – البطولة فى الشعر العربى – د . شوقى ضيف

٣٣٢ – يوم بيوم – للأستاذ أنيس منصور

٣٣٣ – رسائل وأسرار – للأستاذ محمد التابعى

٣٣٤ – ماذا نستخرج من البترول – د . جورج وهبة الـ

٣٣٥ – القرآن والتفسير العصرى –﴿هذا بلاغ للناس﴾

٣٣٦ – أيام خالدة فى حياة عبد الناصر – د . جمال الدين

٣٣٦ – مكرر – النفس والبدن – د . إبراهيم فهيم

٣٣٧ – فى اللغة والأدب – د . إبراهيم مدكور

٣٣٨ – الهجرة فى القرآن – للأستاذ محمد الدسوقى

٣٣٩ – مرمس تؤلف كتابا – ومسرحيات أخرى – للأ

٣٤٠ – محمد عبد الوهاب – للأستاذ محمود عوض

٣٤١ – فى مولد النبى – للأستاذ حسين الشافعى – نائـ

٣٤٢ – صراع الأجيال فى الأدب المعاصر – للأستاذ غـ

٣٤٣ – إلى صاعدة : حياة ومذكرات شابة مرهفة الإحسـ
حلمى سلام

٣٤٤ – الوادى السعيد – (أو الرأس ايلاس) – تأليف صمويل جونسون – ترجمة د . لويس عوض

٣٤٥ – مذكرات ذرة – د . عبد المحسن صالح

٣٤٦ – ذكريات عارية – د . السيد أبو النجا

٣٤٦ – مكرر – أحاديث رمضان – د . عبد العزيز كامل

٣٤٧ – بنك القلق – للأستاذ توفيق الحكيم

٣٤٨ – مختارات من نحو النور – للأستاذ محمد زكى عبد القادر

٣٤٩ – هؤلاء علمونى – للأستاذ سلامة موسى

٣٥٠ – دموع فى عيون ضاحكة – للأستاذ يوسف جوهر

٣٥١ – من أخطاء القضاء – للأستاذ حسن الجداوى

٣٥٢ – عندما تحب المرأة – للأستاذ حلمى مراد

٣٥٣ – خدعوك فقالوا – د . سعيد عبده

٣٥٤ – رحلة الشرق والغرب – د . لويس عوض

٣٥٥ – بلابل من الشرق – للأستاذ صالح جودت

٣٥٦ – القصر المسحور – د . طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم

٣٥٧ – أغلال القلب – للأستاذ إبراهيم المصرى

٣٥٨ – أفكار ضد الرصاص – للأستاذ محمود عوض

٣٥٩ – الإسلام والعصر – د . عبد العزيز كامل

٣٦٠ – الرباط المقدس – للأستاذ توفيق الحكيم

٣٦١ – آدم يعود إلى الجنة – د . حسين مؤنس

٣٦٢ – رحلات رع – تأليف ثور هايردال – ترجمة الأستاذ ميشيل تكلا – تقديم الأستاذ كمال الملاخ

٣٦٣ – من فوق سبع سموات – للأستاذ على أحمد باكثير

٣٦٤ – مطاردة منتصف الليل – للأستاذ يوسف الشارونى

٣٦٥ – التفاحة والجمجمة – للأستاذ محمد عفيفى

٣٦٦ – ابتسامات وحية رقطاء – للأستاذ يوسف جوهر

٣٦٧ – شباب امرأة – للأستاذ أمين يوسف غراب

٣٦٨ – أحمد رامى – د . نعمات فؤاد

٣٦٩ – عاصفة فى قلب – للأستاذة صوفى عبد الله

٣٧٠ – كندا حلم المهاجرين – للأستاذ مفيد فوزى

٣٧١ – الرقص على المشب الأخضر – للأستاذ سعد مكاوى

٣٧٢ – حياتنا بعد الخمسين – للأستاذ سلامة موسى

٣٧٣ – مصر فى القرآن والسنة – د . أحمد عبد الحميد يوسف

٣٧٤ – عالج نفسك بالغذاء – د . إبراهيم فهيم

٣٧٥ – مع طه حسين – للأستاذ سامى الكيالى

٣٧٦ – سندباد دبلوماسى – للسفير المصرى – الأستاذ أحمد عبد المجيد

٣٧٧ – الإسلام ومشكلات الفكر – للأستاذ فتحى رضوان

٣٧٨ – لم نعد جوارى لكم – للكاتبة العربية سحر خليفة – تقديم الأستاذ حلمى مراد

٣٧٩ – العالم بين يديك – للأستاذ اسماعيل شوقى

٣٨٠ – خبز الأقوياء – للأستاذ إبراهيم المصرى

٣٨١ – رحلة إلى آسيا – د . شريف حتاتة
٣٨٢ – اللهب المدفون – د . محمود كامل
٣٨٣ – مذكرات شاب مصرى – يغسل الأطباق فى لندن – للأستاذ حسين قدرى
٣٨٤ – النساء حين يتحطمن – للأستاذ صلاح عبد الصبور
٣٨٥ – الطعام الرخيص هل انتهى عصره – للمهندس سيد مرعى
٣٨٦ – القيم الدينية والمجتمع – للأستاذ محمد كامل حته
٣٨٧ – انت وقلبك – د . إبراهيم فهيم
٣٨٨ – ذكرى طه حسين – د . سهير القلماوى
٣٨٩ – عصفور من الشرق – للأستاذ توفيق الحكيم
٣٩٠ – مصطفى كامل – للأستاذ فتحى رضوان
٣٩١ – مشكلاتك النفسية لها حلول – د . صبرى جرجس
٣٩٢ – أبناؤنا المنحرفون – بقلم السيدة أمينة السعيد
٣٩٣ – القفص الأحمر – للسيدة صوفى عبد الله
٣٩٤ – خطوات نحو القدس – د . عبد العزيز كامل
٣٩٥ – شهيرة – للأستاذ سعد مكاوى
٣٩٦ – صراع الحب والعبقرية – للأستاذ إبراهيم المصرى
٣٩٧ – عندما استشهد أبى – بقلم السيدة منيرة كفانى
٣٩٨ – قناة السويس – للأستاذ جورج حليم كيرلس
٣٩٩ – أثار على الشفاة – للأستاذ حسن عبد المنعم
٤٠٠ – قراءات ورحلات – د . مصطفى الديوانى

٤٠١ – الإسلام والمستقبل – د . عبد العزيز كامل

٤٠٢ – القيادة والحرب عند العرب – للأستاذ السيد فرج

٤٠٣ – رحلة حنان – للأستاذ فاضل السباعي

٤٠٤ – اعترافات عاشق – للأستاذ عبد الله الكبير

٤٠٥ – عش سليما بغير مرض – د . إبراهيم فهيم

٤٠٦ – الإسلام والإنسان المعاصر – للأستاذ فتحي رضوان

٤٠٧ – مصطفى كمال أتاتورك – بقلم حلمي مراد

٤٠٨ – إدارة عموم الزير – وقصص أخرى – بقلم د . حسين مؤنس

٤٠٩ – الجمال والحرية والشخصية الإنسانية فى أدب العقاد – د . نعمات أحمد فؤاد

٤١٠ – كلمات إلى العقل – د . السيد أبو النجا

٤١١ – تقدميون إلى الخلف – د . إبراهيم الدسوقي أباظة

٤١٢ – شخصيات – للأستاذ محمود عوض

٤١٣ – خطباء صنعوا التاريخ – للأستاذ أنور أحمد

٤١٤ – حافية على الشوك – للأستاذ فتحي أبو الفضل

٤١٥ – الإسلام والمذاهب الحديثة – للأستاذ فتحي رضوان

٤١٦ – رحلة مع الظرفاء – للأستاذ أحمد عبد المجيد

٤١٧ – نصف مليون دقيقة فى استراليا – للأستاذ صلاح طنطاوى

٤١٨ – دراسات فى ثورة ١٩١٩ – د . حسين مؤنس

٤١٩ – سيكولوجية المرأة – د . صبرى جرجس

٤٢٠ – دموع التوبة – للأستاذة صوفى عبد الله

٤٢١ – جالزوردى – للأستاذ رشدى السيسى
٤٢٢ – خطى مشيناها – للأستاذ عباس خضر
٤٢٣ – أغلال الجسد – للأستاذ إبراهيم المصرى
٤٢٤ – دراسات فى الآداب الأجنبية – د . عيسى الناعورى
٤٢٥ – الحب والصحة النفسية لأبنائنا – د . كلير فهيم
٤٢٦ – عالمية الإسلام – للأستاذ أنور الجندى
٤٢٧ – عندما يتحدث الأدباء – للأستاذ على شلش
٤٢٨ – رسالة من المخ – للأستاذ حاتم نصر فريد
٤٢٩ – فن الزخرفة بالعقد – للأستاذة نادية يوسف خفاجى
٤٣٠ – مختارات أدبية وتاريخية – د . جمال موسى بدر
٤٣٠ – مكرر – السادات .. – رجل الحرب .. رجل السلام –للأستاذ موسى بدوى
٤٣١ – محمد حسين هيكل فى ذكراه – د . عبد العزيز شرف
٤٣٢ – الهند عقائدها وأساطيرها – للأستاذ عبد الرحمن حمدى
٤٣٣ – المكيفات – د . عبد العزيز أحمد شرف
٤٣٤ – معالم الأدب العالمى المعاصر – د . نبيل راغب
٤٣٥ – هل الدراما فن جميل ؟ – د . إبراهيم حمادة
٤٣٦ – بحوث ودراسات أدبية – د . سيد حامد النساج
٤٣٧ – أحاديث حول الأدب والفن والثقافة – للأستاذ عبد العال الحمامصى
٤٣٨ – الإذاعة وبناء الإنسان – للأستاذ إيهاب الأزهرى
٤٣٩ – وجوه قصصية قديمة وجديدة – للأستاذ علاء الدين وحيد

٤٤٠ – القضاء فى خيال الأدباء – د . محمد فتحى عوض الله
٤٤١ – المدرسة الشاملة – د . أحمد حمدى محمود
٤٤٢ – ظواهر التمرد الفنى فى الشعر – المعاصر – د . محمد أحمد العزب
٤٤٣ – النور والفراشة – د . عبد الغفار مكاوى
٤٤٤ – العقاد رجل الصحافة – رجل السياسة – للأستاذ راسم الجمال
٤٤٥ – الطبيب البيطرى فى خدمة المجتمع – د . إبراهيم عبد المعطى
٤٤٦ – الماسات الزيتونية – للأستاذ منير شريف
٤٤٧ – مهاجر إلى أمريكا – للأستاذ أحمد مصطفى
٤٤٨ – كيف تبدأ البناء – د . إبراهيم دسوقى أباظة
٤٤٩ – كل .. لا تأكل - د . بول غليونجى
٤٥٠ – شخصيات فى حياة شوقى – للأستاذ عبد المنعم شميس
٤٥١ – من دروس الهجرة – د . سعد ظلام
٤٥٢ – دراسات فى الشعر العربى – للأستاذ محمد إبراهيم أبو سنة
٤٥٣ – الفيلم التسجيلى وبناء الإنسان – للأستاذ محمد سامى عطا الله
٤٥٤ – فى بلاد العبابدة – د . سمير محمد خواسك
٤٥٥ – الخليج العاشق – للأستاذ فتحى رضوان
٤٥٦ – عشاق لكن شعراء – للأستاذ فتحى سعيد
٤٥٧ – ثقافة وكتاب – للأستاذ إبراهيم زكى خورشيد
٤٥٨ – الفكر الاجتماعى – فى الرواية المصرية – للأستاذ فتحى سلامة
٤٥٩ – دليل الآباء الأذكياء – فى تربية الأبناء – للأستاذ عبد التواب يوسف
٤٦٠ – الرؤيا الإبداعية – فى شعر الهمشرى – د . عبد العزيز شرف

٥٠٣ - الذين علمونى الحب والحكمة - للأستاذ حسن محسب

٥٠٤ - أوراق من هنا وهناك - د . سيد حامد النساج

٥٠٥ - الجريمة والتنمية - د . حسنى درويش عبد الحميد

٥٠٦ - ثقافة بلا دموع - للأستاذ جلال العشرى

٥٠٧ - وجعلنا من الماء كل شيء حي - للأستاذ أحمد رشاد الطوبى

٥٠٨ - من مقعد الناقد - للأستاذ على شلش

٥٠٩ - العقاد زعيما - د . راسم محمد الجمال

٥١٠ - ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى - د . أنور لوقا غبريال

٥١١ - الفكاهة فى مصر - د . شوقى ضيف

٥١٢ - رحلة دينية إلى افريقيا - د . عبد الرحمن محمد النجار

٥١٣ - العشق الإلهى - الأستاذ طاهر أبو فاشا

٥١٤ - حوار مع أبو عمار - الأستاذ عبده مباشر

٥١٥ - عمالقة ظرفاء - الأستاذ خيرى شلبى

٥١٦ - المسرحية السياسية فى الوطن العربى -د . أحمد العشرى

٥١٧ - أطفالنا فى عيون الشعراء - الأستاذ أحمد سويلم

٥١٨ - فى بلاط الصحافة والأدب - الأستاذ فتحى سعيد

٥١٩ - تجارب نقدية وقضايا أدبية - الأستاذ محمد إبراهيم أبو سنة

٥٢٠ - على أمين (شخصية ومدرسة) - الأستاذ عبد الله زلطة

٥٢١ - محمد بن عبد الله - الأستاذ السيد فرج فؤاد

٥٢٢ - ثلاثة رواد من المهجر - د . نادرة جميل السراج

٥٢٣ - طرائف رؤساء أمريكا - الأستاذ مجدى قطب

٥٢٤ – التعليم والتنمية الريفية المتكاملة – د . إبراهيم عصمت مطاوع
٥٢٥ – خلق الإنسان من علق – د . محمد رشاد الطوبى
٥٢٦ – السينما الإسرائيلية – الأستاذ شفيق عبد اللطيف
٥٢٧ – لوحات تسر الخاطر – د . نعيم عطية
٥٢٨ – الفنون الدرامية – الأستاذ عادل النادى
٥٢٩ – القضاء حصن الحريات – د . حسنى درويش عبد الحميد
٥٣٠ – أضواء على النفس البشرية – د . عبد العزيز جادو
٥٣١ – رسالة الصيام – د . محمد سيد طنطاوى
٥٣٢ – آية وبشرى – للسيدة فوزية مهران
٥٣٣ – محمود عزمى رائد الصحافة المصرية – للسيدة نجوى كامل
٥٣٤ – مسافر على الموج – د . عبد الفتاح رزق
٥٣٥ – مترو الأنفاق – د . سيد سلامة
٥٣٦ – وبث فيها من كل دابة – د . محمد رشاد الطوبى
٥٣٧ – حصاة فى بحر هائج – د . سيد حامد النساج
٥٣٨ – سيناء في مواجهة الممارسات – الاسرائيلية –الأستاذ قدرى يونس العبد
٥٣٩ – معى جـ ٢ – د . شوقى ضيف
٥٤٠ – ألوان من الجمال والغزل – د . عبد العزيز جادو
٥٤١ – القصة القصيرة فى الستينات – د . عبد الحميد إبراهيم
٥٤٢ – شوقى ضيف رائد النقد – د . عبد العزيز الدسوقى
٥٤٣ – عيون نقدية – للأستاذ محمود فوزى
٥٤٤ – صحة الإنسان – د . نظمى صبحى عريان

٥٤٥ – عملاق الأدب توفيق الحكيم – د . محمد حسين الدالى
٥٤٦ – فمنهم من يمشى على بطنه – د . محمد رشاد الطوبى
٥٤٧ – البرامج التربوية للطفل – السيدة أميمة منير جادو
٥٤٨ – الاختراعات والمصنفات – د . سينوت حليم تادرس
٥٤٩ – حرافيش القاهرة – الأستاذ عبد المنعم شميس
٥٥٠ – أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت – د . إبراهيم عبد المعطى
٥٥١ – الدكتور محمد حسين هيكل مفكرًا وأديبًا – د . حسين فوزى النجار
٥٥٢ – مقاومة الفئران – أستاذ صبحى مصطفى المصرى
٥٥٣ – رحلة إلى اسكتلندا – د . محمد فتحى عوض
٥٥٤ – أمراض الشتاء – د . أنيس فهمى اقلاديوس
٥٥٥ – الغاز الطبيعى والاستخدام المنزلى – مهندس أحمد محى الدين
٥٥٦ – محكمة العدل الاسلامية – د . عبد الله الأشعل
٥٥٧ – المانيا إلى أين المصير – د . جاد طه
٥٥٨ – طعامك يحدد قوامك – د . مصطفى عبد الرازق نوفل
٥٥٩ – الانسان والجن فى القرآن – د . محمد رشاد الطوبى
٥٦٠ – القصة فى القرآن الكريم – د . محمد سيد طنطاوى
٥٦١ – حديث الروح مع الشيخ الشعراوى – أستاذ مأمون غريب
٥٦٢ – عظماء فى طفولتهم – د . محمد المنسى قنديل
٥٦٣ – قهاوى الأدب والفن فى القاهرة – أستاذ عبد المنعم شميس
٥٦٤ – شموع (كتاب فى ثقافة الطفل) – أستاذ عبد التواب يوسف
٥٦٥ – الرياضة والاحتراف – د . علاء صادق محمد

فهرس

صفحة

صفحة

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٢٤٠١
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 3973 - 9

١ / ٩٢ / ٣٦٨

طبع بمطابع مؤسسة دار المعارف (ج.م.ع)